من تراث أعلام الدعوة السلفية بمصر



دار سبيل المؤمنين
للنشر والتوزيع




من تراث أعلام الدعوة السلفية بمصر

المقالات السلفية

لفضيلة الشيخ

محب الدين الخطيب

دار سبيل المؤمنين
للنشر والتوزيع



الطبعة الأولى
١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م

رقم الإيداع: ٢٠١١/٣٤٣٥م

دار سبيل المؤمنين
للنشر والتوزيع

عين شمس - القاهرة - جمهورية مصر العربية
جوال: ٠٠٢٠١٠٧٦١٠٠٩٩
البريد الإلكتروني:
Dar_Sabilelmomnen@yahoo.com
Dar_Sabilelmomnen@hotmail.com
موقعنا على الإنترنت:
www. darsabilelmomnen.com

ترجمة محب الدين الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ

هو محب الدين بن أبي الفتح محمد بن عبد القادر بن صالح الخطيب، أصل أسرته من بغداد. هاجرت أسرته إلى (حماة) في بلاد الشام.

ولد في دمشق في الشهر السابع من (سنة ١٣٠٣هـ) نشأ وتعلم بها، ولازم العلماء، خصوصًا الشيخ طاهر الجزائري الذي احتواه، وعطف عليه، ووجهه نحو العلم لينهل منه، وسعى شيخه الجزائري ليكون محب الدين أمينًا لدار الكتب الظاهرية فاستفاد من ذلك وقد كان ينتقي له مخطوطات من تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية وأضرابه فيكلفه بنسخها، كما أنه أوصاه بالأخذ عن علماء الشام في ذلك الوقت ومنهم الشيخ أحمد النويلاتي، والشيخ جمال الدين القاسمي، والشيخ محمد علي مسلم، حتى تحصل على علم غزير وانتفع بمطالعاته المتواصلة.

بعد أن أنهى الخطيب دراسته الثانوية، انتقل إلى «الأستانة»، والتحق بكليتي الآداب والحقوق. شارك وهو في الأستانة في تأسيس «جمعية النهضة العربية» بدمشق، غادر (الأستانة) بعد الانتهاء من السنة الثالثة إلى دمشق. ثم اختير للعمل في اليمن وانتقل إليها، وبعد فترة وجيزة قضاها في اليمن رجع إلى القاهرة وهناك شارك في جريدة «المؤيد». وفي سنة (١٩١٣م) أسس الشيخ محمد رشيد رضا مدرسة الدعوة والإرشاد فدرس فيها الشيخ محب الدين.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى طلبه الشريف الحسين بن علي فسافر إلى مكة فأسس المطبعة الأميرية وأصدر جريدة «القبلة» الناطقة باسم حكومة الحجاز، وكان الشريف حسين يستشيره في كثير من الأمور الخارجية، ثم رجع مرة أخرى لمصر واستقر في القاهرة حيث عمل في تحرير جريدة الأهرام خمس

سنوات، وهناك أسس المكتبة السلفية ومطبعتها، حيث قام بطباعة الكتب السلفية، ونشر كثيرًا منها، وأصدر «مجلة الزهراء»، وهي مجلة أدبية اجتماعية دامت خمس سنين، ثم أسس جريدة «الفتح»، ثم تولى تحرير مجلة «الأزهر» ست سنوات، ثمّ ساهم في إنشاء جميعة الشبان المسلمين في القاهرة.

بذل جهودًا مباركة في نشر عقيدة السلف الصالح متمثلة في نشر كتب شيخ الإسلام ابن تيمية. ودفاعه عن الصحابة ورد الشبهات عنهم ونحو ذلك. وقد ساهم في محاربة التنصير وبيان مخازيه فقد نشر في مجلة «المؤيد» كثيرًا من أعمالهم محذرًا وفاضحًا لمخططاتهم ضد المسلمين. وهو من أوائل العلماء الذين تنبّهوا لأخطار الصهيونية، وحذروا منها، وكشفوا الغطاء عن حقائقها وأسرارها، ومن أبرز من أظهر دسائس الرافضة، ودعاة التقريب معهم.

صنف كتابه: «الخطوط العريضة لدين الإثنى عشرية» وبين فيه كذبهم على الله وعلى رسوله وعلى كتابه وعلى آل البيت الطاهرين.

من آثاره العلمية «توضيح الجامع الصحيح للإمام البخاري»، «مع الرعيل الأول»، «الجيل المثالي»، «من الإسلام إلى الإيمان».

توفي سنة ١٣٨٩هـ بعد ثلاث وثمانين سنة قضاها في البحث، والتحرير، والتأليف، والدفاع عن الإسلام. انظر ترجمته في «الأعلام» للزركلي (٥/ ٢٨٢).

* * *

مقدمة كتاب آداب الزفاف[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ولا رب لنا غيره ولا يطاع في السر والعلن سواه وصلى الله على معلم الناس الخير محمد هادي الإنسانية إلى سنة الحق وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد: فإن جماهير المسلمين لا يزالون في مثل عقول الأطفال يلهيهم ما يلهي الأطفال ويصرفهم عن مناهج الخير وأهداف الحق كل ما يصرف الأطفال من ألاعيب وتوافه وأوهام حتى يتحروا سنة الإسلام في الاعتدال وهدايته في التحرر من كل ما استعبدوا له من الملاهي والسفاسف والزخارف والشهوات وحينئذ يرجعون إلى ربهم فيحفظ لهم عقولهم ويبارك لهم في أوقاتهم وأعمالهم وجهودهم ويدخر لهم ثروتهم وأسباب قوتهم فيستعملونها فيما ينفعهم ويكون به عزهم ويعلو به سلطانهم.

وتحري سنة الإسلام في الاعتدال والانتفاع بهدايته في التحرر من السفاسف التي صار المسلمون مستعبدين لها منذ أكثر من ألف سنة يتوقف على أمرين :

أحدهما : إخلاص العلماء العاملين الذين يبينون للأمة سنن دينها في كل ناحية من النواحي التي تتناولها رسالة الإسلام.

والثاني : ازدياد عدد المسلمين الذين يوطنون أنفسهم في ترديد ذلك البيان العلمي بالعمل به حتى يتلقاه عنهم بالقدوة من لا يتيسر لهم تلقيه بالدرس والتعلم .

وهذه الرسالة اللطيفة نموذج لناحية من النواحي التي تناولتها رسالة الإسلام بالسنن الصحيحة عن معلم الناس الخير ﷺ في حفلات الزفاف وآدابه وولائمه وهي الناحية التي أسرف فيها المسلمون بالبعد عن سنن الإسلام حتى أوغلوا لا في

(١) وهو كتاب آداب الزفاف للعلامة الألباني وقد قام العلامة محب الدين الخطيب بتقديم الكتاب في طبعته الأولى.

الجاهلية الأولى التي امتازت - في هذه الناحية - بفطرة العروبة وتحررها من بذخ المترفين بل في الجاهلية الطارئة التي تشبهت فيها كل طبقة بالطبقة التي سبقتها إلى النار حتى أصبحت أعباء الزواج وتكاليفه فوق طاقة الناس فكادوا ينصرفون عنه - وهو في نفسه من سنة الإسلام - لأنهم انصرفوا فيه عن سنن الإسلام فأوقعهم ذلك في شر أنواع الجاهلية .

وبعد أن تهيأت لهذه الرسالة المناسبة التي عينت موضوعها تهيأ لها مؤلف من دعاة السنة الذين وقفوا حياتهم على العمل لإحيائها وهو أخونا بالغيب الشيخ أبو عبد الرحمن محمد ناصر نوح نجاتي الألباني فوضع بين أيدي المسلمين النصوص الصحيحة والحسنة من سنة رسول الله ﷺ في آداب الزفاف وحبذا لو كان قد اتسع له الوقت وواتته الأسباب فاستقصى كل ماورد من ذلك في الحياة الزوجية وآداب البيت وما ينبغي أن تكون عليه الأسرة الإسلامية . ولكن ظهور الهلال في ليلته الأولى قد يشعر بما يليه من مطالع صفحات القمر حتى يكون بدرًا كاملًا.

وكما تهيأ لهذه الرسالة موضوعها والمؤلف الذي يستوفيه تهيأ لها كذلك المسلم الأول والمسلمة الأولى اللذان آليا أن يكونا قدوة للمسلمين في الاعتدال والتحرر من العبودية للسفاسف والملاهي وتوافه العادات عندما استخارا الله فخار لهما أن يبنيا البيت المسلم الطاهر والأسرة الإسلامية المتحررة من تقاليد الجاهلية الأجنبية عنًّا والطارئة علينا . فأرجو الله ﷻ أن يأخذ بيد أخي المؤمن المجاهد الأستاذ السيد عبد الرحمن الباني في جميع مراحل حياته حتى يحقق له آماله ملتزمًا سنة الإسلام في ذلك ما استطاع.

وأختم هذه الكلمة بأن أضرب للعروس المسلمة الفاضلة مثلًا من تاريخ نساء العروبة والإسلام ينبغي لكل مسلمة أن تجعله نصب عينيها لتكون من الخالدات إن شاء الله.

إن فاطمة بنت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان كان لأبيها - يوم تزوجت - السلطان الأعظم على الشام والعراق والحجاز واليمن وإيران والسند وقفقاسيا

والقرم وما وراء النهر إلى نجارا وجنوة شرقًا وعلى مصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى وإسبانيا غربًا.

ولم تكن فاطمة هذه بنت الخليفة الأعظم وحسب بل كانت كذلك أخت أربعة من فحول خلفاء الإسلام وهم: الوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، ويزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك وكانت فيما بين ذلك زوجة أعظم خليفة عرفه الإسلام بعد خلفاء الصدر الأول وهو أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز.

وهذه السيدة التي كانت بنت خليفة وزوج خليفة وأخت أربعة من الخلفاء خرجت من بيت أبيها إلى بيت زوجها يوم زفت إليه وهي مثقلة بأثمن ما تملكه امرأة على وجه الأرض من الحلي والمجوهرات ويقال: إن من هذه الحلي قرطي مارية اللذين اشتهرا في التاريخ وتغنى بهما الشعراء وكانا وحدهما يساويان كنزًا.

ومن فضول القول أن أشير إلى أن عروس عمر بن عبد العزيز كانت في بيت أبيها تعيش في نعمة لا تعلو عليها عيشة امرأة أخرى في الدنيا لذلك العهد ولو أنها استمرت في بيت زوجها تعيش كما كانت تعيش قبل ذلك لتملأ كرشها في كل يوم وفي كل ساعة بأدسم المأكولات وأندرها وأغلاها وتنعم نفسها بكل أنواع النعيم الذي عرفه البشر لاستطاعت ذلك.

إلا أني لا أذيع مجهولًا بين الناس إن قلت: إن عيشة البذخ والترف قد تضرها في صحتها من حيث يتمتع بالعافية المعتدلون وقد تكسبها هذه العيشة الحقد والحسد والكراهية من أهل الفاقة والمعدمين زد على ذلك أن العيشة مهما اختلفت ألوانها تكون مع الاعتياد مألوفة ومملولة والذين بلغوا من النعيم أقصاه يصطدمون بالفاقة عندما تطلب أنفسهم ما وراء ذلك فلا يجدونه بينما المعتدلون يعلمون أن في متناول أيديهم وراء الذي هم فيه وأنهم يجدونه متى شاؤوا غير أنهم اختاروا التحرر منه ومن سائر الكماليات ليكونوا أرفع منها وليكونوا غير مستعبدين لشهواتها.

ولذلك اختار الخليفة الأعظم عمر بن عبد العزيز - في الوقت الذي كان فيه أعظم

ملوك الأرض - أن تكون نفقة بيته بضعة دراهم في اليوم ورضيت بذلك زوجة الخليفة التي كانت بنت خليفة وأخت أربعة من الخلفاء فكانت مغتبطة بذلك لأنها تذوقت لذة القناعة وتمتعت بحلاوة الاعتدال فصارت هذه اللذة وهذه الحلاوة أطيب لها وأرضى لنفسها من كل ما كانت تعرفه قبل ذلك من صنوف البذخ وألوان الترف.

بل اقترح عليها زوجها أن تترفع عن عقلية الطفولة فتخرج عن هذه الألاعيب والسفاسف التي كانت تبهرج بها أذنيها وعنقها وشعرها ومعصميها مما لا يسمن ولا يغني من جوع ولو بيع لأشبع ثمنه بطون شعب برجاله ونسائه وأطفاله فاستجابت له واستراحت من أثقال الحلي والمجوهرات واللآلئ والدرر التي حملتها معها من بيت أبيها فبعثت بذلك كله إلى بيت مال المسلمين.

وتوفي عقب ذلك أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ولم يخلف لزوجته وأولاده شيئًا فجاءها أمين بيت المال وقال لها: إن مجوهراتك يا سيدتي لا تزال كما هي وإني اعتبرتها أمانة لك وحفظتها لهذا اليوم وقد جئت أستأذنك في إحضارها.

فأجابته بأنها وهبتها لبيت مال المسلمين طاعة لأمير المؤمنين ثم قالت: «وما كنت لأطيعه حيًّا وأعصيه ميتًا».

وأبت أن تسترد من مالها الحلال الموروث ما يساوي الملايين الكثيرة في الوقت الذي كانت محتاجة فيه إلى دريهمات وبذلك كتب الله لها الخلود وها نحن نتحدث عن شرف معدنها ورفيع منزلتها بعد عصور وعصور رحمها الله وأعلى مقامها في جنات النعيم.

إن أهنأ العيش هو العيش المعتدل في كل شيء وكل عيش مهما خشن أو نعم إذا اعتاده أهله ألفوه وارتاحوا إليه والسعادة هي الرضا، والحُرُّ هو الذي يتحرر من كل ما يستطيع الاستغناء عنه وذلك هو الغنى بالمعنى الإسلامي والمعنى الإنساني جعلنا الله من أهله.

* * *

مع الكاتب الإسلامي الكبير

السيد محب الدين الخطيب بالقاهرة

«حديث أعده الأستاذ محمد إبراهيم السويلم»(١)

واقع العالم الإسلامي اليوم

س: ما رأيكم في واقع «العالم الإسلامي» اليوم؟ وما هي الطريقة التي يستطيع بموجبها أن ينهض نهضة مستمدة من روح الإسلام؟

ج: الإسلام الذي يشترك المسلمون في الانتماء إليه، ويتكون منهم باسمه واقع «العالم الإسلامي»، يمتاز بأنه جامع لشُعب الحق والخير التي قام حامل أكمل رسالات الله بتوجيه أمته إليها، والأخذ بأيدي أصحابه نحوها خطوة خطوة، قبل الهجرة وبعدها في ثلاث وعشرين سنة، فكان رأسها الأعلى وسنامها الأعظم صحة الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وإخلاص الطاعة والعبادة له، والتعامل بالأخلاق القويمة، حتى كانوا بها أمة صدق ووفاء وأمانة، وتعاون على الحق المحض المشترك، وتوثيق الكيان الإسلامي بأسباب القوة من جميع أنواعها، ما كان منها وما سيكون.

وواقع العالم الإسلامي – الذي كنت من شهوده – في هذا القرن الرابع عشر الهجري أي منذ استعجمت دولة الإسلام، مرتكسًا في سلسلة طويلة من أمراض الضعف من جميع النواحي التي أراد لها الإسلام تمام الصحة وجماع القوة فالإيمان بأصول الدين أراد له الدجالون والمرتزقة من الطرقيين والقبوريين أن

(١) مجلة المنهل – ذو الحجة – ١٣٨٣هـ.

يكون شيئًا آخر غير الذي أراده هادينا الأعظم لأمته.

والجيل المثالي الذي رباه محمد صلوات الله وسلامه عليه حتى كان أكمل جيل عرفته الإنسانية، تعمد أعداء الإسلام من المنتسبين إليه أن يشوهوا حسناته العظمى، ويدسوا فيها ما يشعر بأنها كانت سيئات ولم تكن حسنات، فحرموا الأجيال المتعاقبة من شعوب الإسلام نعمة الاقتداء بأئمة الهدى والسير وراء القافلة الأولى، ففسد على المسلمين وعلى الإنسانية أكمل تاريخ يستضاء بمصابيحه.

وحتى العبادات تحولت إلى عادات، فصارت الصلاة منها قلما تنهى عن الفحشاء والمنكر، بل كثيرًا ما يقف المصلي في محرابه أو بين صفوف المصلين وهو مشغول الفكر في نصب مكيدة لأخيه المسلم بغير حق ولا هدى ولا كتاب مبين.

والصيام قلما خلص من قول الزور أو العمل به، وقلما ربى في الصائم فضيلة الصبر والإمساك عن الأذى والمطامع والبغي.

والحج صار من أندر النوادر أن يجدد لصحابه حياة بعده نظيفة من كل ما كان ملوثًا به قبل الحج من المآثم، والأساليب الملتوية.

والتواسي بين الطبقات بالزكاة والصدقات إما معدوم بالمرة، أو موضوع في غير مواضعه.

وعلة ذلك أن المسلمين فرقوا بين الإيمان والأخلاق حتى كأن الأخلاق في نظرهم ليست من شعب الإيمان، مع أنها من صميم رسالة الإسلام، بل هي روح الإسلام، وبها كان المسلمون الأولون أمة صدق وإنصاف وتعاون ومواساة.

إنهم بفصلهم بين الإيمان والأخلاق تحولوا من جماعة متعاونة على الخير

متكاملة إلى أفراد متنافسين على الدنيا، وانصرفوا عن القوة الجماعية إلى الأنانية الفردية، فكان بأسهم بينهم أفرادًا وشعوبًا.

لا طريق إلى نهوض المسلمين نهضة صحيحة مستمدة من روح الإسلام إلا طريق الرجوع إلى الأخلاق الفردية، والأخلاق الاجتماعية، وأن يربي كل منا أولاده على الصدق وسجية التعاون، وأن يؤمن كل مسلم بأن ثروة كل مسلم ثروة له، وأن قوة الأمة الإسلامية بمجموعها قوة له، وأن مجموعة العالم الإسلامي أسرة كبرى لكل مسلم يسوؤه ما يسوؤها ويسعده ما يسعدها، وأن ما يملكه المسلم من مال يباح له منه - بينه وبين نفسه - ما يكفيه وذويه بالمعروف، وما زاد على ذلك فهو أمين الله عليه ينميه ويزيده بالأساليب التي يرضاها الله ويثيبه عليها في الدنيا والآخرة.

إن هذه المعاني كلها داخلة في باب شعب الإيمان الإسلامي، وقد انحط المسلمون وهزلوا منذ فصلوا هذه المعاني عن المعنى العام لشعب الإيمان الإسلامي، ومنذ ظنوا - وفي الظن الإثم والخزي - أن عبادة الله شيء محرر عن معاني الفضائل الإنسانية الفردية والجماعية، فتحولوا من أمة نافعة قيمة غنية عزيزة متضامنة متعاونة تتخذ من الصلاة طريقًا إلى الفلاح إلى أفراد من قطيع متقاطع ينهش بعضه بعضًا كالذئاب التي لا تؤمن بمعاني الإنسانية ولا تعني بفضائلها، مع أن الإسلام أكمل أشكال النظم الإنسانية، وأجمع الهدايات لفضائلها.

علة المسلمين أنهم لا يعرفون ما هم؟ ومن هم؟ وأين هم من غيرهم؟ وقد كان أشمل نداء نودي به المسلمون في صدر تاريخهم هو النداء العلوي الذي قيل لهم فيه: «أيها المسلمون، إن لكم معالم، فانتهوا إلى معالمكم»[١].

والمسلم - ولا سيما في هذا الزمان - معرض للانغماس في مختلف لجج البر والبحر والجو، وفي مختلف تيارات الرأي والفكر والهوى، وفي مختلف دعاوى المذاهب والعقائد والنزعات.

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٨/ ١٠٣).

فإذا لم يعرف المسلم معالمه التي ينبغي له أن يرجع إليها بصفته مسلمًا وهي شعب إيمانه، كما ينبغي له أن يفهمها فهمًا عصريًّا سليمًا، تقاذفته حينئذ لجج البر والبحر والجو، وتلاطم تيارات الرأي والفكر والهوى، وصار عرضة لسخرية المذاهب والعقائد والنزعات، وكان مصيره إلى أن لا يعرف ما هو؟ ومن هو؟ وأين هو؟ وكان مثله كمثل السفينة الضاربة في لجى[1] على غير هدى ومن غير اتجاه سديد.

إن رأس الحكمة في نهضة المسلمين أن يرسم لهم حكماؤهم مخططًا واسعًا تتعين به معالم إسلامهم على ضوء شعب الإيمان الإسلامي، وبهدى من السيرة الصحيحة غير المشوهة لأئمة الإسلام الأولين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وهم الذين دخلت بدعوتهم وبالاقتداء بهم شعوب الإنسانية في هدى الإسلام، وتكون بجهادهم وجهودهم هذا العالم الإسلامي، ونهجت[2] لهم قوافله الأولى في نصف القرن الأخير طريق المستقبل إلى الهدف الأعظم.

والتاريخ ينتظر من حكماء المسلمين في هذا العصر الساعة التي يشرعون فيها برسم هذا المخطط للعالم، قبل أن يجرف التيار أطفالنا اليوم ورجال المستقبل فيكونوا ضد ما كان ينبغي لهم أن يكونوا عليه.

أحداث العالم الإسلامي اليوم

س: بصفتكم عاصرتم أحداث العالم الإسلامي أكثر من نصف قرن، واشتركتم في أكثرها ماديًّا ومعنويًّا، فما هو أهم حادث وقع لكم وأثر في نفسكم؟.

ج: أحداث العالم الإسلامي التي وقعت في نصف القرن الأخير أكثر وأهم من الأحداث التي وقعت في مثل هذه المدة من أنصاف القرون المتعددة قبله.

---

(١) لجة البحر: حيث لا ترى أرض ولا جبل، ولججت السفينة تلجيجًا خاضت اللجة. «العين»: (لج)، «مختار الصحاح»: (ل ج ج).

(٢) نهج الأمر وأنهج، لغتان: إذا وضح. ومنهج الطريق: وضحه، والمنهاج: الطريق الواضح. «تهذيب اللغة»: (نهج).

* لقد تقلص فيه الحكم التركي عن البلاد العربية من لحج[1] إلى شمال الشام.

* لقد زال فيه نظام الانتداب الفرنسي من سورية، ونظام الانتداب البريطاني من العراق.

* لقد قامت فيه دولتان إسلاميتان كبيرتان في باكستان وأندونيسيا.

* لقد انشمرت فيه إيطاليا من ليبيا، وما يليها، بعد أن كان البهلوان «موسوليني» يمثل عليها مسرحية بعث الدولة الرومانية.

* لقد جلت بريطانيا عن قاعدة القناة في السويس، وعن سائر مصر والسودان، وأممت فيه القناة.

* لقد تحررت فيه المغرب من نظام الحماية الفرنسية بعد أن كان يطمع في إقامة شريعة للبربر غير شريعة الإسلام.

* لقد بدأت فيه الجزائر تتعرب، بعد أن كانت فرنسا تعتبر أرضها أرضًا فرنسية كالأرض الفرنسية في أوربا.

لقد حدثت في العالم الإسلامي – في نصف القرن الأخير – أحداث كثيرة جدًّا وكنتُ أنا نملة صغيرة تسعى في كثير من آفاق هذه الأحداث وفي أوكارها، وكل حادث منها كان عند حدوثه عظيم الأثر في نفسي، لكنني كنت في كل ذلك – من أوله إلى آخره – أراقب سنة الله في إدالة الدول وتطويرها، فيتبين لي من تسلسل حكمته السامية في ذلك أن لهذه السنة الإلهية مظهرين اثنين:

المظهر الأول: أن يعود الحق إلى أهله بقوتهم إذا تأهلوا له، وهذا هو المظهر الأقوى والأبقى، والجدير بالثناء والتقدير.

والمظهر الثاني: أن يعود لأهل الحق حقهم، لا بقوتهم بل بضعف أعدائه

---

(١) لَحْج: بفتح أوله، وإسكان ثانيه، بعده جيم: موضع من سيف عدن، قبل نجران، معجم ما استعجم (٤/ ١١٥٢). وانظر معجم البلدان (٥/ ١٤).

وأعدائهم، ثم يكون أهل الحق هؤلاء في امتحان من الله، فإما أن يمضوا في ضعفهم الخلقي والملي والاقتصادي والحربي، فيسلبهم الله ما أنعم به عليهم عند أولى فرصة تلوح لأعدائهم بزوال ذلك الضعف الطارئ على أولئك الأعداء. وإما أن يستدركوا ما فاتهم في زمن الضعف، فيخلعوا عن كيانهم رداء الخمول والانحطاط والجمود، ويؤهلوا كيانهم للنعمة التي أتاحها الله لهم، فيصيروا أقوياء بإيمانهم وإمكاناتهم، فيحبهم الله كعادته سبحانه في محبة الأقوياء من المؤمنين.

إن هذه الأحداث الكثيرة والعظيمة التي كنت من شهودها في نصف القرن الأخير، كانت نعمة لنا من نعم الله ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]. غير أننا حصلنا عليها قبل أن نستعد لها، بل حصلنا عليها قبل أن تستجيب شعوبنا لدعوة من يدعوهم من خاصتهم للأخذ بأسباب القوة الملية والقومية والخلقية، والأنظمة المالية والصناعية والحربية للتأهل لها.

فكان ما حصلنا عليه بضعف أعدائنا في الحربين العالميتين الأخيرتين، لا بقوة سعينا للحصول عليها قبل ذلك، وفيما بين ذلك، وبعد ذلك، بل نحن في موقفنا من الدعوة الصادقة المخلصة لهذا الاستعداد مشتتون أوزاعًا:

يرى بعضنا أن الاستعداد للقوة إنما يكون بتقليد أعدائنا الذي أضعفتهم قوتهم، وأرهقتهم أساليبهم في الاستعداد، حتى لقد قال لنا كبيرهم في كتاب له يعتز به:

«إن السبيل إلى ذلك واحدة فذة ليس لها تعدد، وهي أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادًا، أو لنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب».

هكـذا قـال بـالنص في كتابـه: «مـستقبل الثقافـة في مـصر» ص ٤١. طبعـة دار المعارف بمصر ١٩٤٤م.

وعلـى الطـرف الآخـر المنـاقض لـدعاة التفـرنج هـؤلاء نـرى في العـالم الإسلامي دعـاة آخـرين يـرون التمسك بمـا كنـا عليه في العـصور العثمانيـة مـن جمود، ويكابرون في الحقائق الكونية المحسوسة على غير ضرورة لـذلك مـن صريح النصوص الشرعية أو الضرورات المتحتمة.

وصنف ثالث يرى الاندفاع في تيار المـادة، والانغمـاس بملاهـي الحيـاة ولا يقيم وزنًا لقيود الأخلاق، والأخذ بالفضائل.

وإنما تجاذبتنا هذه الأهواء، وتخاذلنا عن إقامة كياننـا الأصيل على أسـاس الفضائل الخلقية مدعمة بالعلوم الكونية، والـصناعات الحديثة، وأسباب القوة في أكمل ما وصلت إليه لأننا لا نزال في غفلة عن معرفة أعدائنا من أوليائنا، وعـن التمييز بين ما ينبغي لنا أن نأخذ بـه، ومـا ينبغـي لنـا أن نجتنبـه، ويـوم تعـرف أمتنـا نفـسها، وتحـرص علـى التمـسك بأسـباب قوتهـا، والارتفـاع بمـستواها المـادي والخلقـي، فإنهـا ستبادر إلـى تـصحيح تاريخهـا الممتـاز، ووصـل مـا انقطـع مـن رسالته التي كانـت مـن معجـزات الـدهر في صـدر الإسـلام، فتتعين طريقهـا إلـى الهدف الأقصى في المستقبل، مجتمعة كلها علـى ذلـك، ومتعاونـة فيـه بالحسنى من أندونسيا إلى أقصى المغـرب، وتستعد له أفـرادًا وجماعـات بأسـباب القوميـة والخلقيـة، وبالأنظمـة الماليـة والـصناعية والحربيـة، ويـوم يـتم هـذا الحـادث المنتظـر، إن شـاء الله، سـأعتبره – وأنـا تحـت أطبـاق الثـرى – أهـم حـادث وقـع للكيان الذي أنا منه، فأستأنـف حياة معنوية مستمدة من حيـاة أمتـي الجديـدة إلـى أن نلقي الله جميعًا في سعادة الخلود.

* * *

الطرق التعليمية ببلاد العرب والإسلام [١]

س: هل لكم رأي في الطرق التعليمية التي تتخذها وزارات المعارف بالبلاد العربية والعالم الإسلامي لتربية النشء الإسلامي؟.

ج: لما كنت أتولى تحرير مجلة «الأزهر» في السنوات الست الأولى لقيام النظام الجمهوري في مصر، سنحت لي فرص متعددة تعرضت فيها لهذا الموضوع العظيم الذي كان ينبغي لحكماء هذه الأمة في جميع أنحاء العالم الإسلامي أن يدرسوه دراسة واسعة ودقيقة، وأن ينتهوا فيه إلى نتائج قطعية وحاسمة، ولكن الذي يقف في طريقهم الآن عقبتان:

الأولى: أن الأسس التي تقوم عليها أنظمة وزارات المعارف في جميع أوطاننا كانت مرسومة لها من أيام الاحتلالات الأجنبية.

الثانية: أن الأيدي التي تسلمت هذه الأنظمة بعد ذلك هي تعلمت بها ولا تكاد تعرف غيرها.

وقد حدث بلا ريب كثير من التعديل والإصلاح في السنين الأخيرة، لكنه في الغالب يتناول الأشكال أكثر مما يتناول الحقائق، وهو في العرض لا في الجوهر، ومحاولة تغلغله إلى الحقائق والجوهر في منتهى الصعوبة؛ لأن الأسس مرسومة بعناية وإتقان للحالة الحاضرة.

هذا الموضوع لا يستوفي القلم بمقال في مجلة، أو بإجابة في حديث، فأكتفي هنا بعرض بعض الحقائق التي تحتاج إلى شباب يؤمن بها، ويطيل التفكير فيها، ويجعل في أمانيه الكبرى الدعوة ليحققها.

---

(١) تتمة المقال في مجلة المنهل – ذو الحجة ١٣٨٣هـ.

بين التربية والتعليم

فأول ذلك أن التربية شيء والتعليم شيء آخر. والتربية أقسام؛ منها تربية العقل للإيمان بالحقائق، ومنها تربية النفس عمليًّا لتهذيب النشء بمبادئ تليق بالجيل المسلم حامل أرفع المواريث في رسالة إنسانية واسعة الأغراض بعيدة الأهداف.

ومنها التربية الدينية التي تشمل التمرس بشعب الإيمان الإسلامي واعتياد العبادات المفروضة والتأدب بالآداب السليمة، ثم التربية البدنية التي تعين على تكوين الشاب المسلم القوي الذي يهتف في نشيد:

إنما الإسلام في الصحرا امتهد ليجيء كل مسلم أسد

ووزارات معارفنا لا أعلم أنها تعني من أنواع التربية إلا بالتربية البدنية! وبطريقة إفرنجية، وألمع القائمين بها والمشرفين عليها هم الذين يذهبون إلى أوروبا وأمريكا ليتعلموها. وقد عاد أحدهم من هناك فأخبرني بأنه لقي قسيسًا أثنى له على الإسلام لأن فيه أسماء الله سبحانه التي تبلغ تسعًا وتسعين اسمًا ذات معان سامية، وذكر لي عددها باللغة الإنكليزية كما سمعها من القسيس. فقلت له: يا أخي إنها أسماء الله الحسنى وأهديت له «المقصد الأسني في شرح أسماء الله الحسنى» لأبي حامد الغزالي، وأرشدته إلى نظمها في نونية ابن القيم. فتعجب وقال: إنهم في مدارسنا لم يكونوا يذكرون لنا شيئًا من ذلك حتى سمعته من هذا القسيس.

ومن العجيب أن مدارس الفرير والجزويت وسائر الكاثوليك، وكذلك مدارس البروتستانت من إنكليزية وألمانية وأمريكية ومدارس الأرثوذكس، ومدارس الأليانس الإسرائيلي، كل هذه المدارس وغيرها من مدارس الملل

تعني بالتربية على طريقتها بأكثر مما تعني بالتعليم. وأما نحن فلا معنى للتربية إلا التربية البدنية بأسلوب أجنبي ممسوخ، ومع ذلك فإننا نسمع الكثيرين منهم يشكون من التقصير فيه.

التعليم والعلم العالمي

أما التعليم فمن أكبر أخطائنا أننا لا نميز فيه بين العلم العالمي والثقافة القومية والملية.

وقد نبهت كثيرًا في مجلة الأزهر على أن هنالك علمًا عالميًا اشترك في تكوينه من ألوف السنين علماء من مختلف الأمم، وهو العلم الرياضي والعلم الطبيعي، وكان لأسلافنا نصيب كبير فيه، بل إن اسم علم الجبر اسم عربي محض لا تعرفه الأمم كلها إلا بهذا الاسم العربي؛ لأنه كان في زمان حضارتنا الإسلامية علمًا عربيًا، وكذلك الطب والكيمياء وفلك السماء وغير ذلك من العلوم التي كنا أهلها، ثم شارك فيها غيرنا وتقدموا بها حتى وصلوا إلى تحطيم الذرة والطيران في الأجواء، بتعاون الأمم المشتغلة بمعارف الكون، فكانت هذه العلوم عالمية نستطيع أن نساهم في تقدمها إذا وضعنا أيدينا في أيدي العاملين بها، ودخلنا إليها من أبوابها، واستعملنا مواهبنا الممتازة بطلب العلم للعلم، لا لأجل أكل العيش وحسب.

هذا هو العلم العالمي، مما نتعلمه في مدارسنا بمقياس ضيق وبطرق مستقيمة أو ملتوية.

* * *

والثقافة

وهنالك قسم آخر مما نتعلم[1] في مدارسنا وهو الثقافة وغير ذلك.

العلم العالمي مشترك بين الأمم، وأما الثقافة فلكل أمة ثقافتها، فهنالك: الثقافة اللاتينية، والثقافة السكسونية والثقافة العربية الإسلامية. بل إن الإنكليز والأمريكيين وهما أبناء لغة واحدة - تعتبر كل واحدة منهما أن ثقافة الآخر تفترق - إلى حد قريب أو بعيد - عن ثقافة الآخر.

ومنه يتبين لك أن من الغش دعوى مؤلف «مستقبل الثقافة في مصر»: «أن المسلم العربي ينبغي له أن يأخذ من الغرب كل ما عنده من علوم وثقافة وحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب». لا ولا كرامة؛ إن هناك ما يجوز أن نأخذه، وإن هناك ما يجب أن ندعه، إن من الأشياء أشياء يجب أن نأخذها عن غيرنا لأنها من أسباب القوة، وإن من الأشياء أشياء لا يجوز أن نأخذها إلا من صميم كياننا ومن خالص تراثنا وصريح سننا.

لما انتهت الحرب العالمية الثانية كان الإنكليز قد ملوا قيادة حزب المحافظين، وتعاون تشرشل مع حزب العمال؛ إرضاء للرأي العام البريطاني، وطمع حزب العمال إذا تجددت الانتخابات أن يكسبوا الأغلبية، وأن تحرر المملكة من سيطرة تشرشل بعد الانتهاء من حاجتها إليه، فطالب (أتلي) وزملاؤه من حزب العمال المستر تشرشل بأن يجري انتخابات جديدة، فجعل تشرشل يماطل، ثم اقترح أن يعمل استفتاء بدلًا من الانتخابات. أتدري بماذا أجابه (أتلي) في كتاب ملون اشتهر عند جميع المهتمين بهذه الأمور؟ لقد أجابه بقوله: «إن الاستفتاء سنة غير بريطانية»، يعني أنها طريقة أمريكية لم يسبق

(١) في الأصل «نتعلق».

للإنكليز الالتجاء إليها، فأفحم تشرشل ولم يكابر في هذه الحجة.

إذًا كان حزب العمال البريطاني - المفروض أنه ليس محافظًا كالمحافظين- يحرص على السنن البريطانية، وينوه بها، ويعمل على حمايتها، فكم من رجالات وزارات المعارف في العالم الإسلامي والعربي يعلمون أن للمسلمين والعرب سننًا أصيلة جديرة بالاحترام والاتباع؟ وكم منهم من يحرص على تثقيف النشء الإسلامي والعربي بهذه السنن، وتربيتهم على احترامها والمحافظة عليها، والتصدي لحمايتها؟.

المعضلة الكبرى هي أن مدارسنا لا تعلمنا ما نحن؟ ومن نحن؟ وأين نحن من غيرنا؟

وليس في مدارسنا إلا النادر ممن يعلم أن التربية غير التعليم، وأن العلم العالمي المشترك بين الأمم في تكوينه وفي الأخذ به، غير الثقافة القومية والملية التي تمتاز كل أمة بنصيبها منها، والتي يعد تجاهلها هزيمة، وفرضها من أمة على أمة استعمارًا عقليًا واحتلالًا روحيًّا.

الانحلال الخلقي

س: حيث بقيتم طيلة السنين الماضية تحاربون الانحلال والانحطاط الخلقي، وكان لما قمتم به مع غيركم من جهاد كبير بهذا الشأن الأثر القوي في تصحيح بعض الأوضاع فما هي نصيحتكم للكاتب المسلم الناشئ بهذا الخصوص؟.

ج: الناشئ المسلم الممتاز - ولا سيما إذا تهيأت له الأسباب ليكون كاتبًا أو شاعرًا أو مدرسًا - ينبغي له أن يؤمن برسالة سامية في الحياة يتحرى الأنس بها والاطمئنان لصحتها، وحاجة أمته إلى تحقيقها ثم يزداد إيمانًا بها مع توغله في المعرفة واتساعه في الخبرة والتفكير وزيادة اتصاله بالناس.

ورسالة المسلم الممتاز هي معيار قيمته في حياته وبعد موته، فكلما كانت

هذه الرسالة أسمى وأنفع كان هو أعلى مكانة، وأعظم قدرًا.

والناشئ الذي لا رسالة له في الحياة رجل تافه لا قيمة لحياته ولا أثر له يتركه من بعده.

وأول ما يحتاج إليه في تكوين رسالته أن يعرف معدن قوميته، وسنن ملته، وما تحتاج إليه أمته من خير، فيجعل ذلك من عناصر رسالته، وأن يعلم أنها امتداد للرسالة العظمى التي بعث بها كل رسل الله، والتي حملها من بعده إلى الإنسانية أصحابه الكملة، والتابعون لهم بإحسان فيدأب على رد القطيع الإسلامي الشارد إلى القافلة التي تمضي بها إلى أدوار التاريخ نحو الهدف، وكلما غفل الغافلون عن الهدف الأول الذي سارت القافلة نحوه من عهد العمرين جعل من رسالته تنبيه الغافلين لهدفهم الأصيل.

هذه الرسالة هي الإبرة المغناطيسية لكل سفينة إسلامية تجري في بحر الحياة، وهي كوكب الهدى لكل قافلة عربية تسري في ظلمات الفيافي تحت أجنحة الليالي.

وكلما كثر حملة هذه الرسالة الموحدة كان ذلك ضمانًا لأمن الطريق بين أوله في زمن العمرين، وبين هدفه الأقصى الذي تتم عنده السعادة بمرضاة الله، والفلاح الذي يؤذن به المؤذن من كل مسجد للإسلام في بقاع الأرض.

* * *

خير كتاب قرأه

س: ما هو خير كتاب قرأتموه وكان له تغيير في حياتكم؟

ج: لما توفي والدي في سنة ١٣١٥هـ - وكان أمين دار الكتب الظاهرية - ساقت لي العناية الإلهية رجلًا عظيمًا من رجالات الإسلام - وهو الشيخ طاهر الجزائري - وكان مفتشًا لدور الكتب العامة - وكان بهذا الاعتبار رئيسًا لوالدي في حياته - فسعى لأن أكون خلفًا له في راتب الأوقاف المخصص لأمانة الكتب، وصار يرشدني إلى نسخ رسائل نافعة من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه وأضرابهم فكانت هذه الرسائل الشعاع الأول من النور الذي عرفت الإسلام به.

وأول ما نفعني من الكتب العصرية في تلك الحقبة كتابان؛ أحدهما «أم القرى» للسيد عبد الرحمن الكواكبي، وقد عرفت من مناقشاته أدواء المسلمين وعلاجها، والنكبة التي وقعت على الإسلام ودولته باستعجامها من أواسط الدولة العباسية، فأيقظني هذا الكتاب، مع ما تأثرت به من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، إلى جوهر الإسلام والعروبة، وحاجتنا إلى بعثهما ورد الحيوية إليهما، ثم قرأت كتاب «الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية» للشيخ محمد عبده، فازددت يقظة وعلمًا بأسباب جمود المسلمين، وأن هذا الجمود علة تزول بالرجوع إلى ينابيع الإسلام الأولى، وكنت لشغفي بهذين الكتابين - «أم القرى»، و«الإسلام والنصرانية» - أحرص على إعادة قراءة كل منهما مع كل من أتوسم به الخير من لداتي وإخواني الذين كونت معهم فيما بعد حلقة صار منها بعد سنوات (جمعية النهضة العربية).

ومع ذلك فالطالب الذي يشغف بالمطالعة والاطلاع يجني عسل العلم من كل زهرة يقع عليها.

أهم الأحداث التي غيرت مجرى حياته

س: ما هي أهم الأحداث التي انفعلتم بها وغيرت مجرى حياتكم؟

ج: أول هذه الأحداث اتصالي بالشيخ طاهر الجزائري وصحبتي له، وتعرفي بوساطته بكل ذي فضل ومزية في دمشق، ولما أكملت دراستي الثانوية وذهبت إلى القسطنطينية للالتحاق بكلية الحقوق، راعني أن جميع شباب العرب متتركون، ويتخاطبون فيما بينهم بالتركية، ويتكاتبون بها، ويتأدبون بآدابها، وكان لذلك مغزى ومصير أدركته في وقت مبكر، فكان من رسالتي الأولى بعد فهم رسالة الإسلام والإيمان بوجوب إحيائها كما كانت في البداية، أن أعرف كل عربي مسلم بأنه عربي، وأن الانتساب لعروبته انتساب مشرف، فإن تراث العروبة صنو لتراث الإسلام، وإن كلًّا منهما مكمل للآخر في هذا العصر والعصور الآتية كما كنا كذلك في العصور السالفة.

إن حكاية هذا الاندفاع طويلة، ولكن هذا كان أولها، وهي التي عينت لي مجرى حياتي، بعد صحبة الشيخ طاهر المتقدمة منذ كنت في الثانية عشرة، وما بعده من صدر حياتي.

أما الأحداث الأخرى بعد ذلك فلكل حادث أثره، غير أن طريقي كان قد تجدد وتعين، وكان كل ما أثر به بعد ذلك عونًا على المضي فيه والاستمرار في طلب أهدافه.

* * *

كتبه التي لم تطبع

س: هل لديكم كتب من تأليفكم لم يتم طبعها؟ وما هي؟

ج: إن مباشرتي طبع «فتح الباري» أتاحت لي أن أعيش في جوه، فكان ذلك فرصة لأن أكتب تعليقًا على أحاديث «الجامع الصحيح» للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وقد أتممت منه إلى الآن مجلدين وباشرت الثالث، ولعله يكون في سبعة مجلدات أو ثمانية، يسرت فيه هذه النصوص الإسلامية الأصلية للجامعيين والطلبة المدنيين وأضفت إليه تراجم مختصرة للرواة وزعتها في الكتاب، وسيكون لها فهرس أبجدي.

وكنت أعددت مسودات لكتاب «الإيمان الإسلامي» وهو يشمل شعب الإيمان المنصوصة في الكتاب وصحيح السنة، وشرحتها شرحًا عموميًّا ينفع المسلم في سيرته وسلوكه وصحة إيمانه والحكمة من عباداته، وأن الأخلاق بمفرداتها تعد من جواهر شعب الإيمان ومسودات الكتاب تحتاج إلى تنظيم وكتابة من جديد، وهو مبني على أن الإسلام شيئان؛ حق وخير، وأن كل ما أمر به وبالإيمان به يتفرع؛ إما عن شعب الحق أو عن شعب الخير. وبذلك كان الإسلام رسالة الإنسانية العليا التي لا ينبو عنها إنساني مهما كانت نزعاته.

وكنت كتبت في عشرات السنين الماضية فصولًا، ومقالات فيما يستحق أن يجمع أشباهه إلى نظائره، فتكون منه كتب متعددة ككتاب «مع الرعيل الأول» ولكن هذا يحتاج إلى وقت وتنظيم.

وإن كثيرين يطالبونني بكتابة مذكرات وذكريات، وهذه يمكن أن تطول حتى تكون في مجلدات، ولكن الثمانين – وبلغتها – قد لا تتسع لإصدار هذه الأشياء وكثير غيرها إلا ما يريد الله منه، ونحن في حاجة إلى عونه ورحمته وتوفيقه.

لمحات من الضوء على أعمال المستشرقين(١)

أغراض الاستشراق

بدأ الاستشراق في أوربا بدافع ديني، وما زال يتطور حتى صار له المكان الأول في جهود الاستعمار في القرنين الأخيرين.

وكان الاتصال الأول للأوروبيين بالشرق الإسلامي في الحروب الصليبية، وكان عرب الأندلس المثل الأعلى في العلم والحضارة عند الاسبانيين وفرنسيِّي الجنوب وسائر الأوروبين، وحتى بعد أن بسط الاسبانيون سلطانهم على جميع بلاد الأندلس، ظلوا ينقشون نقودهم بحروف عربية، ومن هذه النقود نماذج موجودة إلى اليوم في متحف مدريد.

أما الترجمة من كتب العرب، فقد بدأت منذ كان العرب لا يزالو في إسبانيا، ثم أخذ الأوربيون في تأسيس المدراس لنقل العلم العربي.

ومن مدارس أوربا التي كانت تستمد العلم من معارف العرب في القرون الوسطى «مدرسة بادو» وهي مدرسة إكليركية شرقية، ومن أساتذتها «أغابيتو» الذي تخرج بها عدد من التلاميذ باللغة العربية، وللكردينال «مارباريكو» الفضل في انتشار حركة المشرقيات في هذه المدرسة في القرون الوسطى.

عصر الترجمة

ومن أقدم ما عرفناه من أمر ترجمة الكتب العربية باللغات الأوربية، أن المعز موسى الإيطالي من أهالي «بالرمه» في القرن الثالث عشر الميلادي ترجم من اللغة العربية إلى اللاتينية كتاب أبقراط في «أمراض الخيل».

ومن قدماء المشتغلين بعلوم العرب العالم الإيطالي «تبزيو أميرو كيو كونت

(١) مجلة «الحج» - ربيع الأول والثاني ١٣٦٨ هـ.

اليونز» من القرون الوسطى، ولم أعرف له أثرًا غير كونه من أصحاب العناية؛ يتتبع أحوال الشرق الإسلامي وعلومه.

والمعلوم من ترجمة حياة «أندري موتكاجون بللون» من علماء القرن الخامس عشر الميلادي أنه لما رأى تراجم كتب ابن سينا المنقولة من العربية إلى اللغات الأوربية والتي كان يستعملها أطباء بلاط فردريك الثاني ليس فيها عناية، أخذ على عاتقه دراسة العربية في صميم أوطانها، فذهب إلى دمشق وأقام فيها مدة يدرس ويتعلم، ثم قام برحلة في سائر بلاد سوريا ومصر وفارس وآسيا الصغرى، وعاد بعد ذلك إلي كلية «ياهو»، ليشرح لتلاميذه فلسفة ابن سينا وعلومه.

ومن هذا القرن الطبيب «جيرو لاموار انوزيو» من أطباء البندقية، قصد بلاد الشام سنة ١٤٨٣م ليتبحر في فهم كتب ابن سينا، وليعلق شروحًا على ترجمته لها.

وكانت فاتحة القرن السادس عشر الميلادي بدء تأسيس الطباعة العربية في أوربا، فقد أنشأ «يوليوس الثاني» في مدينة قانو، على بحر البلطيق أول مطبعة عربية، واحتفل ليون العاشر بافتتاحها سنة ١٥١٤م.

ونرى آل دي مدسيس في نابولي كانوا يعملون قبل ذلك على غزو بلاد العرب الإسلامية غزوًا دينيًّا مسيحيًّا بواسطة الطباعة والنشر، فظفروا بالمستشرق «ريموندي» المولود سنة ١٥٣٦م، وهو من أهالي نابولي التي كانت العربية منتشرة فيها أكثر من غيرها، وكان ريموندي هذا يتقن بضع لغات شرقية ولا سيما العربية، وهو قدوة الداعين إلى تعلم المشرقيات، فولاه الكردينال «فرينانديي مدسيس» إدارة مطبعة مدسيس وفيها نشر «كتاب نحو» و«كتب ابن سينا» وغيرها، وكانت مطبوعاته موضع الإعجاب العام بحسن

طبعها ووضعها، وبعد أن قضى نحبه لم تعد أسرة مدسيس تفكر في إعلان حرب الكتب على المسلمين، بل عمدت إلى إحداث الاضطرابات العملية!

وفي أوائل القرن السابع عشر أسس «سافاوي دي بريف» وكان سفيرًا لملك فرنسا في القسطنطينية مطبعة حجرية شرقية في روما، وهو الذي حفر أمهات الحروف العربية التي عنها نقلت مطبعة الأمة في باريس أشكالها.

وفي أول القرن السابع عشر أيضًا أسس الكردينال «فردريك بوروميه» مدرسة امبرواز ومكتبتها في مدينة ميلانو، ومن تلاميذها أنطونيو جيجيو الإيطالي المتوفي في ميلانو سنة ١٦٣٢م، وهو مؤلف أقدم معجم صنفه الأوربيون.

وفي فاتحة القرن السابع عشر أيضًا تأسست مكتبة ليدن، أسسها «فريز» قنصل هولندة في القسطنطينية بعد أن اشترى من ماله – بلا مساعدة – الكتب العربية من تصانيف أكابر الأقدمين، ووقفها في سبيل النفع العام، وفي هذه المكتبة خطوط «التبريزي»، و «ابن الجواليقي»، و «المقريزي»، و«الحافظ النسائي»، و «العماد الكتاب» سكرتير صلاح الدين الأيوبي، «وعبد الله بن الحشاب النحوي» وأضرابهم، وأكثر الكتب العربية المطبوعة في أوربا هي من هذه المكتبة، لذلك كان ما طبعته مطبعة بريل نقلًا عن أصول هذه المكتبة أصح من الكتب التي طبعت في مطابع أخرى.

هذا مجمل ما بدأ به الاستشراق، وكان أولًا لمقاصد دينية ثم تحول إلى الاستفادة من علوم العرب، وتحرك فيما بعد إلى معاونة الاستعمار وإمداده بالأخبار العلمية.

* * *

رحلات المستشرقين

ومن أقدم الأوربيين الذين رحلوا إلى بلاد العرب «بارتيما» الإيطالي فاتح باب السفر إلى الحجاز لكل من أتى بعده من الإفرنج؛ فقد زار الحرمين سنة ١٥٠٣م أيام «قانصوه الغوري» وتسمى باسم «يونس» ورحلته إلى الحجاز واليمن والهند معربة في مقتطف سنة ١٩١٠م وسنة ١٩١١م.

ثم «فنسان لبلان» الفرنسي فقد زار الحجاز سنة ١٥٦٨م، و «يوسف بتس» الإنجليزي سنة ١٦٨٠م.

وظلت الرحلات مستمرة بلا انقطاع إلى أن أرسل إمبراطور فرنسا على نفقته سنة ١٨٦٢م الرحالة «بولغريف» وهو إنجليزي يسوعي، فدخل نجدًا وألف كتاب «رحلة في بلاد العرب الداخلية» طبع سنة ١٨٦٣م، ورحلته هذه لم تنجح في المقاصد التي أريدت لها.

وسافر «دوتي» إلى مدائن صالح، وأقام فيها ثلاث سنوات ينقل آثارها، وله كتاب «جزيرة العرب».

مشاهيرهم وأعمالهم

وأشهر المستشرقين «وستفليد»، «سلفستر دي ساسي»، «كاترمير»، «سنوك هو رغورنجه»، «هوتسما»، «مولدكه»، «دوزي»، و «غولدزيهر»، «جوليوس»، «رانبرغ»، «دي خويه»، «كليمان هوار»، «باربيه دمشار»، «بروكلمن»، «امبري ميشيل اماري»، «سيدبو». ومن المتأخرين «نلينو»، «كرنكو»، «رودلف غيره»، «هانس امزيك»، «كونهيل»، «كراتشكوفنيكي».

ومهمة المستشرقين الحقيقية أن يكونوا عيون أوربا الناظرة إلى عقول سكان الشرق الإسلامي والباحثة عن الثقافة المؤثرة في قلوب المسلمين.

وأهم أعمالهم مؤتمراتهم التي يعقدونها في كل بضع سنوات، وأولها مؤتمر باريس سنة ١٨٧٣م، والثاني في لندن سنة ١٨٧٦م، والثالث في بطرسبرج سنة ١٨٧٧، والرابع في فلورنسه سنة ١٨٧٨، والخامس في برلين سنة ١٨٨١، والسادس في ليدن سنة ١٨٨٣، والسابع في فينا سنة ١٨٨٦، والثامن في استكهولم وكرستيانيا سنة ١٨٨٩، والتاسع في لندن سنة ١٨٩٢، والعاشر في جنيف سنة ١٨٩٤، والحادي عشر في باريس سنة ١٨٩٧، والثاني عشر في روما سنة ١٨٩٩، والثالث عشر في هامبورغ سنة ١٩٠٢، والرابع عشر في الجزائر سنة ١٩٠٣، والخامس عشر في كويتهاغ سنة ١٩٠٩، والسادس عشر في أثينة سنة ١٩١٢م، والسابع عشر في أكسفورد سنة ١٩٢٨.

ومن أهم أعمالهم تأليفهم «دائرة المعارف الإسلامية»، وتأسيسهم جمعيات بمساعدة حكوماتهم «كالجمعية الأسيوية» التي تأسست في باريس بمساعي سلفستر دي ساسي سنة ١٨٢٢، وتأسيسهم مدارس اللغات الشرقية والمعارف العربية في معظم عواصم الغرب لتخريج الساسة والقناصل والمستشرقين الذين يعملون في بلد تلك اللغات.

ولا تقوم أمة بعمل يتعلق بالاستشراق إلا تبادر الأمم الأخرى إلى عمل مثله وما هو أتقن منه، ولأكثرهم مجلات خاصة بالشرق وعلومه وأحواله.

أما أهم مراكز الاستشراق في البلاد العربية ففي مدينة «بيروت»، وذلك لكثرة عدد المسيحيين في لبنان.

* * *

أشهر المكتبات العربية

وأشهر المكتبات التي تضم كتبًا ثمينة، ومخطوطات عربية وإسلامية هي مكتبة ليدن، ومكتبة باريس، والمتحف البريطاني، ومكتبة لينغراد، ومكتبة برلين أو مكتبة الفاتيكان، ومكتبة الأسكوريال، وفي استنبول نحو أربعين مكتبة كل منها صغيرة لكنها بمجموعها تعد من أثمن المكتبات العربية.

ومنذ شاع استعمال الفوتوغراف في نقل المخطوطات القديمة صارت كل مكتبة تنقل ما ينقصها من الكتب التي امتازت بها المكتبات الأخرى؛ حتى دار الكتب المصرية نقلت من مكتبات أوربا مئات كثيرة من الكتب النفيسة التي كنا نحسد تلك المكتبات عليها.

وبعد، فهذا بحث من الظلم أن يفرد له بضعة أسطر أو صفحات؛ لأن مجهود المستشرقين يتعب المؤرخ الذي يتوسع في الكتابة عنهم بمجلدات! ولذلك اجتهدت فقط أن ألقي لمحات من الضوء على أعمالهم وصور نشاطهم.

* * *

البدوي اليوم، والبدوي أمس[1]

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يرى - بعد التجربة المتكررة - أن أعراب البادية قوة عظيمة تجنح إلى الشر إذا أهملت، وتكون طليعة الخير إذا عني ولي الأمر بأمرها، وكان عمر يحلف أنه لا يحمل رجال البادية إلا على الواضحة، ومات رضي الله عنه، وهو يوصي بالأعراب خيرًا ويقول: إنهم مادة الإسلام.

وبالأعراب فتح الله على المسلمين ملك الأكاسرة والقياصرة، وبهم أضاء مشعل الهداية في وادي النيل حتى وصلوا إلى الأقيانوس، وعبروا من إفريقية إلى أوربة، وكان منهم أبطال الحرب وساسة الأمم وحملة الحكمة.

ولما حول بنو العباس وجوههم عن قبائل العرب إلى علوج أبي مسلم، ثم إلى فراعنة المعتصم جاءت البادية، فصار أهلها إن لم يجدوا ما يأكلونه أكل بعضهم بعضًا، وما زال أمرهم في إهمال حتى رأينا عرب ما بين الحرمين الشريفين في أيام الدولة العثمانية لا عمل لهم غير قطع طريق الحج، وحتى رأينا المحملين الشامي والمصري لا ينجيهما من بأس الأعراب ما يصحبهما من كتائب الجند المجهزة بالبنادق والمدافع، ولا يؤذن لهما بالمسير حتى تؤدي للقبائل الإتاوة نقدًا وعدًّا.

وفي أيام الحكومة الهاشمية أتيح لي ولكثير من إخواني أن نراقب أحوال بدو الحجاز، فخرجنا من ذلك بحكم على البدو أنهم لا يجوز الاعتماد عليهم في جليل ولا حقير، وأنهم لا يعودون إلى ما كانوا عليه زمن الخلفاء الراشدين ودولة بني أمية إلا بكرامة يختص الله بها من يشاء من عباده.

إن هذه الكرامة اختص الله بها عبد العزيز بن سعود، فقلب له عرب الحجاز

---

(١) صحيفة أم القرى العدد ٤٠٣ جمادى الأولى ١٣٥١ هـ نقلًا عن صحيفة الفتح.

من أداة شر محض إلى أداة خير محض، وأخرج له من أمة لم تكن تخاف الله ولا اليوم الآخر أمة صالحة مؤمنة وقفت له على قدم الاستعداد ليرمي بها إلى الموت إن شاء وإلى الحياة إن شاء.

حدثني شاب فلسطيني متعلم قال: ركبت مع بدوي من قبيلة حرب بعيرًا سافرت عليه من مكة إلى المدينة، وفيما كنا نسري في الليل أخذت أغنى.

فقال له الجمال: أليس خيرًا لك لو أنك سبحت الله بدلًا من هذا الغناء؟

قلت: بلى، ولكن النفس تشهى أن يكون ذلك تارة وتارة.

فقال: لا تعط النفس هواها.

فقلت له: من أي القبائل أنت؟

قال: من حرب، ومنازلنا ها هنا بين الحرمين الشريفين.

قلت: منذ كم صرت تؤثر التسبيح على الغناء؟

قال: منذ تعلمنا الخوف من الله، وصرنا نؤدي فرائض الله.

قلت: ومتى كان ذلك؟

قال: منذ جاء ابن سعود إلى مكة، وكنا قبل ذلك نقتل الرجل إذا ظننا أن في جيبه ريالًا، وقد نقتله ثم لا نجد الريال، أما الآن فإننا نبصر الذهب ملقى على قارعة الطريق فلا يمسه أحد منا إلا أن يكون هو صاحبه.

في غير هذا المكان من «الفتح» ست وثائق[1] هي بعض البرقيات التي كان يتبادلها الملك عبد العزيز ورجاله المجاهدون الذين ندبهم لسحق فتنة عدو الله ابن رفادة، وهذه الوثائق جاءت على سجية كاتبيها ليس فيها شئ من التصنع، حتى إنهم لم يعبأوا بتنقيتها من ألفاظ بدوية لا توجد في معاجم اللغة.

هذه الوثائق كان لها في نفسي أعظم تأثير؛ لأني كنت أعهد البدو على غير ما

(١) نشرتها جريدة أم القرى – عدد ٣٩٩.

رأيتهم عليه في هذه الوثائق، كانوا لا يجيبون نداء ملك ولا أمير إلا إذا وسوس لهم بالذهب، ولعل الذين بيتوا فتنة ابن رفادة اختاروا لها زمن أزمة الحجاز الخانقة اعتقادًا منهم بأن الذهب بات هنالك أخرس لا يسمع له صوت فلا أمل في أن يستجيب العرب نداء ابن سعود إذا استصرخهم للدفاع عن جزيرتهم.

ولكن العرب بعد أن آمنوا بالله، وتعودوا الوقوف بين يديه خمس مرات كل يوم يعبدونه ويطيعونه، صاروا يعلمون أن من ضروب عبادة الله والطاعة له أن يؤدوا واجب الجهاد كما يؤدون واجب الصلاة.

وكان ابن سعود قد عودهم فيما عودهم من عادات الخير أن يحرثوا ويزرعوا، فلما دوى في أودية الجزيرة وجبالها طبل الحرب خافوا أن تمنعهم الزراعة عن واجب الجهاد فترك بعضهم الزراعة، وركب بعضهم إلى الطائف يرجون ابن سعود أن يأذن لهم بالذهاب إلى الحرب وأن ينقذهم من الخذلان باتباع أذناب البقر.

هذه الفتنة الحقيرة التي دس الدساسون رأس ابن رفادة في أتونها قد برهنت لأمم الأرض على أن جزيرة العرب كلها شعلة نار، وأن كل حامل سلاح فيها مستعد لاقتحام كل ما يقف في سبيله حتى يلقى الله شهيدًا، أو يفوز بالنصر سعيدًا.

عرب حرب تعاتب ابن سعود لأنه أرسلهم لقتال ابن رفادة وهم يريدون أن يطيروا على غير ابن رفادة، وعرب عتيبة نازلة حول الطائف تلح في أن يؤذن لها بالزحف لتعبد الله بهذا النوع من عبادته، وشمر، وقحطان، وعنزة، وبنو تميم، وعلى رأسهم جميعًا الأمراء آل سعود الذين لبثوا في نجد، ولم يناداهم ملك العرب لحمل رايات القتال، كتبوا بقلم ابن سعود يعتبون، كيف أن راية القتال يحملها الخادم حلوان، ويبقى الأمراء والمشهورون بالشهامة والفروسية

والبطولة، معطلين هم وفرسانهم ورجالهم عن العمل قابعين في المنازل أو بين النخيل؟

إن هذه القوة التي ندبها ابن سعود لتذب الذباب عن ثغور الجزيرة العربية، إنما هي طائفة قليلة بعددها عظيمة بإيمانها، وإنما جاءت بالسيارات وعلى ظهور الإبل المهرية الخفيفة وعلى متون الجياد العراب، فأوقع الله من هيبتها الرعب في قلب كل من يضمر لأرض القرآن شرًّا، ولكن وراء هذه الطلائع أممًا كلها تحمل السلاح وتحسن استعماله، وتطير شوقًا إلى لقاء الله في ميادين الجهاد.

إن ابن سعود وجه وجوه جميع من تحت راياته من العرب إلى القبلة وأذاقهم حلاوة الصلاة، فصاروا يتلمظون ليذوقوا حلاوة الشهادة أيضًا.

هؤلاء البدو الذين أقامهم الله للدفاع عن جزيرة العرب تحت راية ابن سعود، هم غير البدو الذين كانوا نازلين مع الشريف علي بن الحسين في رابغ، أو مع الملك فيصل في العقبة. أولئك كانوا ينتظرون آخر الشهر ليقبضوا الجنيهات الذهبية، ويتمنون أن لا تقع معركة فاصلة لئلا تنتهي مهمتهم فتسد حنفية الذهب.

أما البدو الذين طاروا على صوت الطبل إلى الشمال ومزقوا جثث جماعة ابن رفادة تمزيقًا، فإنما جاءوا ليذوقوا حلاوة الموت في سبيل الله وهم يعاتبون ملك العرب بحرية وأدب لأنه آخذ بحجزهم ومانع لهم من أن يخترقوا هذه الحدود التي تهب عليهم منها الرياح الكريهة.

الانقلاب الذي أوجده ابن سعود في بادية العرب سيجعلها مصدر خير، كما كانت قبل دولة العباسيين، ولو لم يفعل ابن سعود غير هذا لكفاه فخرًا.

* * *

من أخلاق العرب[1]

هات حبالك

لما وصل الخبر إلى العراق بوفاة يزيد بن معاوية بدمشق كان أميره على العراق عبيد الله بن زياد، وكان يومئذ في البصرة، فجاءه الخبر بأن الكوفة قد انتقضت عليه، فأزمع السفر إلى الشام، واستخلف على البصرة مسعود بن عمرو العتكي، كبير الأزد وكان يقال له: قمر العراق فركب في موكب من فرسان اليمن وربيعة، وخرج من منزل الأزد معلمًا بقباء ديباج أصفر، حتى إذا غشى المسجد الجامع ارتقى المنبر وجعل يأمر بالسنة وينهي عن الفتنة، وكان في سجن عبيد الله بن زياد نحو أربعة آلاف من الحرورية؛ بعضهم من خوارج بني تميم، وآخرون من خوارج سائر القبائل، فاستطاعوا أن يحصلوا على السلاح، واندفعوا من السجن فقصدوا المسجد الجامع وقتلوا مسعود بن عمرو.

وكان آخرون من بني تميم – من غير الخوارج – أرادوا سيد تميم الأحنف بن قيس، على أن يظهر بهم في هذا اليوم ويكون له الأمر، فآثر العزلة والبعد عن الفتنة، فاختار بعضهم للإمارة عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي.

وكان عبد الله بن الحارث لا يزال في بيته عندما قصد مسعود العتكي منبر الجامع وقتل وهو على أعواده، فهاجت الأزد، واتهمت بني تميم بقتل مسعود، وإنما قتله الخوارج، وركبت بنت مسعود إلى مربد البصرة تطالب بدم أبيها، وتوالت رجال من بني تميم ونساء من نسائهم على الأحنف تستفزه للأهبة ولدفع الهائجين من الأزد وأنصارهم من ربيعة، حتى أقاموا عنده البينة الشرعية

(١) مجلة المنهل – نقلًا عن مجلة الفتح – له – محرم ١٣٨١هـ – المجلد ٢٣.

على اعتداء الأزد على بعض الضعفاء، فدعا حينئذ عبس بن طلق الضريمي فعقد له اللواء على تميم ودعا الله لهذه الكتيبة بعد أن ولت فقال: اللهم لا تخزها اليوم، فإنك لم تخزها فيما مضى.

ولما رأى شباب بني تميم أن الأحنف قد تشمر للدفاع جعلوا يقولون: هاجت زبراء؛ أي غضب الأحنف، وزبراء أمة له، فكنوا بها عنه من إجلاله.

وكانت المقاتلة من بني تميم حريصين على خطة الدفاع وعلى إخماد الفتنة ما استطاعوا، حتى لقد ناشدوا الأزد وهم يقاتلونهم فقالوا لهم فيما رواه الطبري[1] (ج٢ ص ٤٦٢ طبع أوربا ج ٧ ص ٣١ طبع مصر):

«الله الله يا معشر الأزد في دمائنا ودمائكم، بيننا وبينكم القرآن، ومن شئتم من أهل الإسلام، فإن كانت لكم علينا بينة أنا قتلنا صاحبكم- أي مسعود بن عمرو العتكي – فاختاروا أفضل رجل فينا فاقتلوه بصاحبكم، وإن لم تكن لكم بينة، فإنا نحلف بالله ما قتلنا ولا أمرنا ولا نعلم لصاحبكم قاتلًا، وإن لم تريدوا ذلك فنحن نفدي صاحبكم بمائة ألف درهم. فكف الفريقان عن القتال، ثم جاء الأحنف بن قيس في وجوه مضر إلى منزل زياد بن عمرو العتكي، فقال الأحنف: يا معشر الأزد، أنتم جيرتنا في الدار وإخوتنا عند القتال، وقد أتيناكم في رحالكم لإطفاء حشيشتكم وسل سخيمتكم ولكم الحكم مرسلًا فقولوا على أحلامنا وأموالنا، فإنه لا يتعاظمنا ذهاب شيء من أموالنا كان فيه صلاح بيننا.

فقالوا: أتدون صاحبنا عشر ديات؟

قال لهم الأحنف: هي لكم!

ثم ندب الأحنف ابن أخته إياس بن قتادة بن موالة العبشمي، أحد بني عبد شمس ابن سعد بن زيد مناة بن تميم، ليحمل من أغنياء بني تميم حمالات تلك

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٠٥.

الفتنة؛ دية مسعود المضاعفة عشرة أضعاف، وديات غيره من عامة الناس الذين ذهبوا ضحايا الفتنة.

قال إياس - فيما رواه أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب «نقائض جرير والفرزدق» (ص ١٠٥ طبع مصر): فجهدت أن يقوم لي بهذه الحمالات أهل الحضر فلم يفعلوا، ولم يغنوا فيها شيئًا، فخرجت إلى البادية، فجعلوا يرمونني بالبكر، أي بالبعير، وبالاثنين حتى اجتمع لي من جمالتي سواد صالح، وصرت بالرمل إلى رجل ذكر لي، فلما دفعت إليه إذا هو رجل أسيود أفيحج[1]، أعيسر، أكيشف، فلما انتسبت له وذكرت له حمالتي قال: قد بلغني شأنك فانزل، قال إياس: فو الله ما قراني، ولا بر علي، فلما كان من الغد أقبلت إبله لوردها، فإذا الأرض مسودة، وإذا هي لا ترد في يوم لكثرتها، وقد ملأ غلمانه حياضه، فجعل كلما ورد رسل من إبله جاء يعدو: حتى ينظر في وجهي فيقول: (أنت حويمل بني سعد؟)، ثم يخرج يرقص، فأقول في نفسي: أخزى الله هذا وأخزى من دلني عليه. حتى إذا رويت الإبل وضربت بعطن - أي بركت بأعطانها - نادى الرجل: أين حويمل بني سعد؟

قلت: قريب منك!

قال: هات حبالك.

فما ترك لي حبلًا إلا ملأه بقرينين من إبله، ثم يقول: هات حبالك. فجئنا بمرائر محابلنا، وأوشية دلائلنا وأروية زمائلنا، وما زال يقول: هات حبالك، حتى حللنا عصم قربنا، وعقل إبلنا وخطمها فملأها لنا ثم قال: حبالك.

قلت: لا حبال.

فقال قد عرفت من دقة ساقيك أنه لا خير عندك، أي إنه لبخله يحسب

(١) أفيحج: تصغير أفحج، والفحج هو تباعد ما بين الساقين.

الناس كلهم بخلاء فلم يستعد الاستعداد الكافي لاستقبال الخير والكرم.

وعاد إياس إلى البصرة بما معه من الخيرات، ففدى بني تميم مسعود بن عمرو بعشر ديات، وباءوا[1] بين القتلى، وتم الصلح، وفي ذلك يقول سوار بن حيان المنقري:

ألم تكن في قتل مسعود عبر	جاء يريد إمرة فيها أمر
حتى رأى الموت قريبًا قد حضر	يطمعهم بحر تميم إن زخر
وقيس عيلان ببحر فانفجر	من حولهم فما دروا أين المفر؟
حتى علا السيل عليهم فغمر	....

* * *

(١) باء فلان بفلان، إذا كان كُفئًا له يُقتل به. تهذيب اللغة – (باء).

قلوب تتكلم[1]

(نشرت صحيفة الفتح الغراء في عددها ٤٥٩ مقالًا افتتاحيًّا عن زيارة سمو الأمير سعود ولي العهد لفلسطين وقلم الأستاذ محب الدين الخطيب ننقله فيما يلي:

انقلب الأمير سعود راجعًا من بلاد الروم يريد وطنه، ووطنه – بحسب العرف الدولي – المملكة السعودية؛ التي يرفرف عليها ذلك العلم الذي يعرف كل عربي وكل مسلم هيئته ونقوشه والكلمات المكتوبة عليه.

ولكنه ما وطئت قدمه أرض فلسطين – التي شاء العرف الدولي أن يعتبرها وطنًا قوميًّا لليهود، حتى رأى بعينه كما كان يرى الشمس، أن هذه الأرض حنت إليه حنين العرين إلى شبله، لا حنين المضيف إلى ضيفه، وسالت جبالها وأوديتها ومسالكها بجميع أهلها ليستقبلوه استقبال الأمة بطلًا من أبطالها، وأملًا من آمالها.

كانت قلوبهم تضحك له فتتكهرب بسرورها أسرتهم، وكانت مشاعرهم في بهجة أربدت لها وجوه الخطافين؛ حثالة الشعوب وسوس الإنسانية، فأيقنوا أنهم في هذا الوطن غرباء كما كانوا في ألمانيا غرباء، وسيظلون فيه غرباء ولو فرشوا أرضه بالدنانير، ولبثوا فيه مثل المدة التي لبثوها بين موسى وبختنصر.

فلسطين بلد قرن الله مفتاحه بمفتاح الكعبة في سلك واحد، وإن من وراء المفتاحين قلوبًا بين جنوب أربعمائة وخمسين مليونًا من المسلمين لا يصل أجنبي إليهما أو تبيد هذه الملايين عن آخرها، وإن من حول المفتاحين سواعد مفتولة يدافع بهما عنهما سبعون مليونًا من العرب الباسلين لو وقفت الدنيا كلها

---

(١) صحيفة أم القرى العدد ٥٦٠ في ١/ ٦/ ١٣٥٤هـ.

في وجوههم في ساعة يستيقظ فيها إيمانهم من سباته لكتب الله لهم الغلبة على الدنيا بأجمعها!!

إن فلسطين وقد سالت الأودية والجبال والمسالك بأهلها ليستقبلوا هذ الفارس الذي جاء يخطر على أرضها بعباءة هبت عليها رياح الجنة في أربعين معركة تنكست بسيوفها رؤوس الفتنة، ولاحت بوميضها آمال الوحدة، وضيئت وصينت براياتها حياض الوطن والملة؛ إنما جاءت تستقبل معنى من المعاني لا شخصًا من الأشخاص، جاءت تستقبل هذه الرابطة بين أربعمائة وخمسين مليونًا من القلوب لأنها تحمي ذينك المفتاحين، وجاءت تستقبل النجدة التي تمثل سواعد سبعين مليونًا من ليوث الجزيرة وما إليها يوم يستيقظ إيمانهم من سباته فيملوا على التاريخ معجزات آبائهم الأولين.

رأى الأمير سعود بعينيه كما كان يرى الشمس، أن بلاده أوسع نطاقًا وأبعد آفاقًا من هذه الخطوط التي رسمتها السياسة على الخريطة، وتكهرب قلبه بإذاعة لاسلكية كان يستقبلها من قلوب هذه الألوف المؤلفة المقبلة عليه من الجبال، ومن أهضام الأودية، ومن شتى المسالك، قائلة له بلسان الحال: إن الملك الحقيقي هو الذي يكون مبسوطًا على القلوب لا على الأجسام، والذي ينضام بجاذبية المشاكلة لا بمقامع المشاكسة. وإن الرابطة القدسية التي يوثق الله عراها بين الجماعات، هي التي يعتمد عليها في بناء القوميات وفي تقرير المصير.

هذه الخطوط التي رسمتها السياسة على الخريطة بين الحجاز والشام والعراق وسائر بلاد العرب، خطوط وهمية تزول بنفخة واحدة من نفخات الإرادة القومية إذا آن أوانها ودنت ساعتها، والإرادة القومية هي صوت الحق يعتصم بالصبر ما قضت عليه الحكمة أن يصبر، حتى إذا توافرات أسباب

استعلائه تمخضت عنه الحوادث، فاستهل صارخًا بصوت يجلجل في آفاق الأرض فتطأطئ له الرؤوس إذعانًا وإيمانًا.

هبط الأمير العربي أرض فلسطين العربية فكان فيها منها ولها!..، وتنقل الأمير المسلم بين ربوع فلسطين الإسلامية، فكان فيها منها ولها!، وكنت أشتهي من صميم فؤادي لو كان في برنامج رحلته متسع لاختراق وادي بردي والإشراف من جبل قاسيون على غوطة دمشق، والوصول منها إلى بعلبك وحمص وحماة وحلب؛ إذًا لرأي هنالك الأرض التي نبغ تحت سمائها عبد الملك بن مروان وعمر بن العزيز ومسلمة بن عبد الملك وعبد الرحمن الداخل وجميع الفاتحين الأولين والمجاهدين السابقين الصادقين؛ وإذا لعلم كم كان غليوم الثاني صادقًا يوم قال: «إن دمشق تعرف كيف تستقبل الملوك» وشتان بين استقبالها غليومًا الضيف وسعودًا أخاها في العروبة والإسلام، ورمز أمانيها في الوحدة والتحرر والاعتزاز.

القومية العربية كائن حي، بل حياة كائنة وما عرف تاريخ الإنسانية قومية أشد حيوية من هذه القومية التي تبتلع كل شئ ولا يبتلعها شيء وتغلب غالبها وإن طال الأمد فيتخلف عنها إن لم يندمج فيها، وتبقى هي سائرة في قافلة الأجيال على الطريق الذي رسمه لها القائد الأعظم ﷺ، وقد تنام في الطريق وقد يطول نومها عصرًا أو أعصرًا، إذا لم يكن لها منها قائد ينبهها إلى السير في أوقاته الصالحة، ولكنها تعود فتنتبه وتنهض، فتسير حاملة معها من كان عدوًا لها في زمن ضعفها، أو لافظة إياه في زاوية من زوايا الدنيا، كذلك كان شأنها فيما مضى، وهذا ما سيكون متى أراد الله أن يكون.

هذه الروح الممتلئة حياة وقوة، برغم ضعفها، أو بالأصح ضعف قيادتها — هي التي استقبلت الأمير سعودًا في فلسطين فأشعرته بأن بلاده أوسع نطاقًا وأبعد

آفاقًا من الخطوط المرسومة على الخريطة، فآمن بأن فلسطين وطن قومي للعروبة والإسلام بعهد من الله وإن عهد الله من العسجد[1] الأصيل، وإن أهل العرب والمسلمون جلاءه وتلميعه.

سبحان الله، أفي عالم الأحلام ما رأى الأمير سعود أم في عالم الحقائق؟! في الأمس القريب كانت عمان تتجهم لمكة وتؤوي الضالين والمخطئين، وفي الأمس القريب كان الأمير سعود في آفاق عسير وإصبعه على زناد بندقيته يتوقع ما يحمله على إطلاقها فتدوي تلك الآفاق بالشرار والنار، وفي عام واحد استطاع صدر أبيه الحكيم الحليم أن يسع كل محرجة، فتحول أعداؤه أولياء له، ووقف الأمير عبد الله يقدم للأمير سعود سيفًا ذهبيًّا مرصعًا عربون الصداقة والولاء، وراح سائر أعداء العرب، ينادون بالثبور وعظائم الأمور حزنًا على ما لقي من الشيطان من الخزي والخذلان بين قلوب العرب من عدنان وقحطان.

إن الله الذي قلب هذه القلوب وجعل أصحابها بنعمة الله إخوانًا في خلال عام واحد هو المؤمل أن يجمع شمل العرب ويوجههم جميعًا في طريق القافلة التي أنار محمد بن عبد الله مشعلها صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن سار في قافلته إلى يوم الدين.

* * *

---

(١) العسجد: الذهب والجوهر كله، كالدر والياقوت. «القاموس المحيط» (باب الدال، فصل العين).

تسوية الصفوف[1]

لإمامة الدعوة الإسلامية

إنما طمع فينا دعاة النصرانية، وسعوا نطاق عملهم في ديارنا من بعد الحرب العظمى على الخصوص؛ لأنهم كانوا فيما مضى يجهلون بعض دخائلنا، ويتصورون أن للأزهر - مثلًا - خطة مرسومة في خدمة الإسلام وعروته الوثقى، وأن هناك تعاونًا تفاهم عليه المسلمون بلسان الحال إن لم يكن بلسان المقال، فالسنوسيون يقومون من جهتهم بعمل مهم لبرنامج يقوم الأزهر بجانب مهم منه، وعلماء الحرمين يمثلون دورًا في نشر الدعوة الإسلامية يفهم مغزاه علماء كاشغر والمدرسون في ديوبند وكابل وفي القرويين والزيتونة!!

هكذا كان يخيل إلى دعاة النصرانية لأن من غير المعقول أن يكون أمة يتراوح عددها بين ثلاثمائة مليون وأربعمائة مليون ولها دين من حقه أن تبلغ دعوته سكان المريخ بعد الانتهاء من إدخال جميع سكان الأرض فيه، ثم يغفل علماؤه عن أن يكون بينهم مثل هذا التفاهم من بكين وكاشغر إلى رباط الفتح.

تحت تأثير هذا التخيل خرج الأستاذ (فمبري) المجري من بودابست مئتزرًا بلباس درويش مسلم يتكلم اللغة التركية، وقطع مفاوز آسيا إلى أعمال تركستان ليكتشف دخيلة أمر المسلمين، ويطلع على ما يكتمونه من طرق التعاون.

وتحت تأثير هذا التخيل لبس العلامة (هرفرونجه) الهولندي (المرقعة) وجاور في الحرم المكي دهرًا طويلًا منتحلًا صفة طالب علم مسلم، ليقف على ما لابد أن يكون المسلمون قد رسموه من خطة لخدمة دينهم.

فلما عرفونا كما نحن، وسعوا نطاق العمل بعد الحرب على أمل أن يستولوا

---

(١) صحيفة صوت الحجاز العدد ٦٧ ربيع الثاني ١٣٥٢هـ.

حتى على أولاد الأمراء والوجهاء وشيوخ الدين.

يجب أن تكون هناك خطة، ويجب أن تعد لهذه الخطة رجالًا ينفذونها، ويجب أن تتعلم طوائف الأمة جوانب التنفيذ.

لما أراد الله لهذه الأمة أن تهيب بالاجتماع للخلاص من شرور دعاة النصرانية، لم يشذ عن هذا الاجتماع أحد، حتى طه حسين صار قلمه يجول بما يوافق هذا الإجماع.

هذه فرصة سنحت، وقد يضن الدهر بمثلها، فعلى كل من يقدر المسئولية أمام الله والتاريخ أن ينتهزها، وأن يعمل على نجاحها، وأن يجعل ذلك خالصًا لوجه الله وحده.

* * *

لماذا نحج؟[1]

فالحج تجريد للنفس من ماضيها المشوب بالإثم، ومن ثم فهو تجديد للحياة، وبقدر ما تصدق نية المسلم في ابتغاء هذا التجديد من الحج يكون حجه مبرورًا، «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[2].

لقد يسر الله سبل الحج في هذا العصر، وتوطدت فيه دعائم الأمن بما لا عهد لحجاج المسلمين بمثله إلا في صدر الإسلام وزمان التابعين لهم بإحسان، والمسلمون الآن في إقبال عظيم على إقامة هذه الشعيرة من شعائر الإسلام، حتى بلغ عدد الذين يقفون في عرفة ويطوفون بالكعبة بيت الله الحرام في هذه السنين رقمًا قياسيًّا لا نظير له في التاريخ.

ولكن بقي أمر آخر يجب أن يعرفه المسلمون جميعًا، ويجب أن يؤمن به الحجاج منهم ويعملوا به، وهو أن العبادات كما أن لها أركانًا ومناسك لا تتم إلا بأدائها، فإن لها كذلك حكمة عالية ومقاصد سامية، هي روحها وهي سببها الأول، وهي الغاية القصوى منها.

فالصلاة وصفها الله ﷻ في سورة العنكبوت بأنها ﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: الآية ٤٥]، وأن تكبير الله في إحرامها، وفي أركانها يصغر أمر الدنيا كلها في نفس المصلي، حتى يرى أنها لا تساوي بخزائنها وكنوزها ارتكاب جريمة تتغير بها هذه الصفة الإلهية للصلاة، فالمصلي الذي يعلم أن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر يستحي من الله وهو يعلن عن عظمته بجملة: الله أكبر، أن يكون هو الذي ينقض صفة صلاته بما يستبيحه من بعض مخازي

---

(١) مجلة «الحج» ذو الحجة ١٣٧٦هـ وهو جزء مقتبس من مقال نشر في مجلة الأزهر.

(٢) البخاري (١٧٧٣) ومسلم (٣٣٥٥).

الفحشاء والمنكر، وأكثرها شيوعًا الكذب والغش والغيبة والنميمة.

بل يستحي من ربه وهو بين يديه يخاطبه طالبًا منه أن يهديه الصراط المستقيم، ثم لا يكاد ينفتل من صلاته حتى يخرج بشئ من أقواله أو أفعاله عن الصراط المستقيم!

والحج هذه الشعيرة من شعائر الإسلام يقبل المسلمون على إقامتها والمسارعة إليها بشغف ونشاط وارتياح، ويدخرون لنفقاتها كرائم أموالهم، والحلال الطيب من نقودهم، فلماذا نقصر في إرشادهم إلى الحكمة الإلهية في الحج والمقاصد الإسلامية منه؟

لماذا لا نقول لهم إذا بلغوا أعلام الحرم وحدوده، وخلعوا عنهم المخيط من ملابس الحضارة، ليلتفوا بمئزر الفطرة من لباس الإحرام: إننا نخلع مع ثياب الحضارة ما أغرنا به الشيطان من آثامها وزلالتها، إننا اليوم أمام فرصة أنعم الله بها علينا لنتوب إليه توبة نصوحًا من كل ما اقترفنا قبل اليوم من إثم، وعلينا الآن أن نبرأ إليه من زلات الماضي ونتطهر من أوضاره[1] لندخل في حياة جديدة، نعاهد الله على أن تكون حياة نظيفة، يرضاها لنا ويثيبنا عليها بسعادة الدنيا والآخرة؟.

لماذا لا نقول لهم: إننا إذا هتفنا نناجي الله بكلمة «لبيك» لا معنى لذلك إلا أننا نعقد عقدًا بيننا وبين الله على الاستجابة لكل ما هدانا إليه من مبادئ الإسلام العالية وهداياته السامية، واجتناب كل ما يدنس حجنا ويسخط ربنا ما دمنا أحياء إلى أن نلقاه مع أوليائه وصفوة عباده الصالحين؟.

---

(١) الوضر- محركة - وسخ الدسم واللبن، أو غسالة السقاء والقصعة ونحوهما، وبقية الهناء، وما تشمه من ريح تجدها من طعام فاسد، واللطخ من الزعفران ونحوه، ج: أوضار. (القاموس المحيط - وضر).

لماذا لا نقول لهم: إننا بتوجيه كلمة «لبيك» لله وحده ﷻ نعترف لربنا ولأنفسنا بأننا لا نطلب الخير والنفع إلا منه، ولا نشرك به أحدًا غيره من نبي أو ملك أو ولي، فضلًا عن غيرهم، وأن كل ما سوى الله مخلوق له وكل مخلوقاته – على مراتبهم – محتاجون إليه، ملتمسون رحمته، ولا يكون منهم شئ إلا بإذنه؟

إن مشركي الجاهلية كانوا في حجهم يلبون كما نلبيه نحن في الإسلام غير أنهم كانوا يستثنون فيقولون: إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك، فجاء الإسلام ليبطل هذه المثنوية وليوجه قلوب الناس إلى الله وحده.

لماذا لا نقول لهم إذا جاءوا لرمي الجمرات في منى: إن هذه حرب يعلنها الإسلام على الشيطان وحزبه وتسويلاته، وإننا كلما خطر ببالنا بعد اليوم خاطر نعلم أنه يسخط الله يجب علينا أن نعلم أن هذا الخاطر من تسويل الشيطان، وأنه عدو لنا، وأننا آذناه بالحرب ونحن نرمي هذه الجمرات في الحج، ومن تمام الحج بعد الحج وما دام الحج على قيد الحياة، مواصلة مخالفة الشيطان، واعتباره العدو الذي لا ينبغي للعاقل أن يغفل عن وساوسه وينقاد لتسويلاته.

أهم شيء في العبادات – ومنها أدعية الحج – أن نعقل معاني ألفاظها، ومن تعلم أن هذه المعاني تنعقد بها العهود بين المخلوق والخالق، وأن المخلوق ينبغي له عقد العزيمة على توخي ما يدعو الله به، وإلا فإنه لا يكون جادًّا بدعائه ولا يكون دعاؤه مستجابًا، ولو أن كل مسلم إذا قال لربه في صلاته: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾. تصور معاني هذه الكلمات، وتأمل في مدلولاتها، وعقد عزمه على توخي الصراط المستقيم في تصرفاته الشخصية، وفي معاملاته مع الناس، لكان المسلمون بهذه الكلمة وحدها أمة صدق واستقامة وخير، وكان ذلك منهم أبرع إعلان عن الإسلام في أمم الأرض، وأنه النظام الذي تبحث عنه

الإنسانية ولا تزال تائهة عنه.

أيها الواعظون في الحج، أوصلوا هذا الخير إلى نفوس إخوانكم الحجاج وقلوبهم، علموه لهم كما تعلمونهم مناسكهم.

وإذا أفلح الحجاج – عامًا فعامًا – في الانخلاع من الماضي والتطهر من أوضاره، ونووا صادقين أن يجددوا عهدهم مع الله، وعلى تجديد حياتهم بما يرضيه، فإنهم سيعودون إن شاء الله إلى أوطانهم حاملين معهم نصيبًا مباركًا من رسالة الإسلام، كما بعث الله بها حامل أكمل رسالته، وأرجو أن نعمل بذلك من عامنا هذا ليعود إلينا النور والهدى من بلاد النور والهدى، والله ولي العاملين.

* * *

قدوتنا الأعظم[1]

كلما خارت قواي وظننت أن الاستسلام للتيار أجدى، رجعت بروحي وعقلي إلى سيرة القدوة الأعظم – صلاة الله عليه وسلامه – فوقفت وقفة الخشوع والإجلال تجاه سنين من حياته الشريفة قضاها في معالجة أخلاق قومه العرب وأعدائهم؛ لحمل مشعل الفضيلة والهدى والسير به في أقطار الدنيا، وما هي إلا سنوات قلائل حتى كانت دعوة الإسلام أعز دعوة تتحرك بها الألسنة؛ وحتى كانت الشعوب تتجرد من عقائدها وعباداتها، بل من ألسنتها وعاداتها، لتدخل تحت لواء الإسلام، وتنادي بكلمة «حي على الفلاح» في آفاق جديدة من آفاق الأرض.

كان من أول ما اشتهيت أن أعرفه – يوم دخلت مكة – جبل حراء الذي خوطب عليه سيد الخلق ﷺ بوحي الحق جل سلطانه، ودار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي التي كانت مختبأ النبي ﷺ وأصحابه على أن بلغوا أربعين.

فكان منهم صف الجهاد الأول في سبيل إعلاء كلمة الله ﷻ.

وقفت من جبل النور على قلة شامخة زلوج، وأرسلت بصري في الآفاق، فإذا جبال خالية من الناس بعيدة عن ضوضائهم، مستريحة من دسائسهم وشرورهم: أمرها الله أن تكون فكانت، ولا تزال على ما أمرها الله به من غير تبديل أو تعديل إلى أن يأمرها الله بالزوال فتزول.

وتشرفت بدخول الغار المبارك، ثم خلوت بنفسي بعيدًا عن أصحابي، أتأمل كيف أن روح خاتم الأنبياء وسيد أولي العزم كانت من السعة بحيث ترجو الله أن تعم كلمة «لا إله إلا الله» جميع أقطار الدنيا، وأن تعلو أرواح سكان

---

(١) مجلة الحج – ربيع الثاني – ١٣٧١هـ.

تلك الأقطار من حضيض العبودية للبشر أو الجمادات، إلى مستوى التوحيد الخالص الذي لا يليق بعقول البشر ونفوسهم غيره، وأن تتحول من الأرض عن خرافاتها، وأكاذيبها، وخساساتها، وحيلها فتكون بالإسلام أمة صدق ورحمة وإيثار وعمل وجهاد وإصلاح.

في هذا الغار هبط الوحي الإلهي على قلب عبد الله ورسوله محمد ﷺ، ومن هذا الغار انتشر نور الهدى فاستنارت به قلوب أمم لا عداد لها، وسيدخل هذا النور قلب كل ابن أنثى إذا استطاعت أمة محمد ﷺ أن تتأسى به وتصغى إلى صوته فيما أمر به من معروف وما نهى عنه من فساد.

ودخلت دار الأرقم المخزومي الواقعة على يسار الصاعد إلى الصفا، فقلت في نفسي: لو شاء الله أن يلين لدعوة عبده محمد قلوب أهل الأرض جميعًا لأجابوا نداءه في بضع سنين، بل في ليالٍ قلائل، ولكنه درس من سيرة سيد الخلق ﷺ يجب على كل مسلم أن يتعلمه، فيعلم منه أن الحصاد لا يستحقه إلا الذي زرع، وأن النتائج لا يحصل عليها إلا من قام بمقدماتها.

وويل لمن يتقاعس عن الدعوة إلى الخير بحجة أن أهل هذا الزمان يصدون عن الاستجابة لها، وهو يتجاهل أن ما لقيه قدوتنا الأعظم ﷺ من العقبات في سبيل دعوته لا يعد ما يلقاه دعاة هذا الزمان في جانبه شيئًا مذكورًا.

ألا فليحاسب «ورثة الأنبياء» في عصرنا أنفسهم، وليقولوا لنا ما هو الأذى الذي لقوه في سبيل الله، وما هو البذل الذي بذلوه لإعلاء كلمة الله، وأي خلق من أخلاق محمد ﷺ وأصحابه تخلقوا به ليكونوا مثالًا حسنًا للإسلام يغري الأغيار بالإقبال عليه والإذعان له؟.

لم تسيء أمة إلى تاريخها؛ ولم تعش أبصار شعب عن سيرة عظمائه، كما أسأنا نحن إلى تاريخنا، وكما عميت أبصارنا وبصائرنا عن مواقف العظمة في

سيرة نبينا ﷺ، وحياة أكابر المهتدين بهديه من الصحابة والأئمة والمجاهدين.

ولعل هذه الثغرة في سور قلقنا أوسع مكان تسرب إلينا منه الضعف، وأصابنا منه الوهن والانحلال.

نشكو إدبار النصر عنا، ولا نحب أن يمر ببالنا شبح المسئولية التي تتوجه علينا من هذا الجانب.

نذكر بالفخر والإعجاب انتشار الإسلام في الصدر الأول انتشارًا يكاد يكون «معجزة»، وإذا قال لنا إنكليزي مسلم كالمستر مريديوك بكتوال: إن انتشار الإسلام الآن بمثل تلك السرعة ممكن.. إذا دعوتم إليه بسيرتكم وأخلاقكم، رجونا أن ينتهي كلامه بسرعة، ونهضنا معاهدين الشيطان على أن نبقى عند ظنه فينا.

كلنا نقول: إن محمدًا ﷺ هو قدوتنا الأعظم، وكلنا نقرأ في كتاب الله ﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: الآية ٢١]، وكلنا نعلم أن الموانع الواقعة اليوم في سبيل القرآن لا تعد شيئًا مذكورًا في جانب الموانع التي كانت واقعة في سبيله يوم كان محمد ﷺ وأصحابه يجتمعون في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي عند الصفا يعاهدون الله على الثبات حتى النهاية.

وأقرب ما نقارن به بين حال اليوم وحال الأمس أننا أربعمائة مليون يتلون القرآن، وأنهم كانوا يومئذ أقل من أربعين.. ولكن الأخلاق!؟.

* * *

العرب مادة الإسلام [(١)]

هناك حقائق لا يتم علم المسلم بالإسلام إلا إذا أحاط بها وأحسن فهمها، وإلا كان فهمه للإسلام ملتويًا، وقطع على الإسلام طريق انتعاشه وبعثه.

وأول هذه الحقائق أن حياة العروبة أساس لجامعة الإسلام، ولم تقم للإسلام جامعة سديدة سعيدة في عهد الهادي الأعظم والخلفاء الراشدين وزمن التابعين إلا باجتماع كلمة العرب، ولما استعجم الإسلام وتهاونت الدولة في هذا الأمر بخذلانها للعرب وتفريق كلمتهم ذهبت ريح الإسلام، وصار شيئًا آخر غير الذي جاء به محمد بن عبد الله صلوات الله عليه.

إن العرب مادة الإسلام، هذه حقيقة قررها عمر بن الخطاب وأعلنها، ولم يفقد الإسلام قوته الأولى وسر بقائه إلا منذ استغنت سياسة الدولة في الإسلام عن الانتفاع بسجايا العرب، فاتخذت له مادة من غيرهم.

يظن بعض إخواننا الطيبين أن حزن المخلصين من أبناء العرب على تشتتهم كاليهود وشرًّا من اليهود، وتمنيهم اليقظة والتماسك لبني قومهم، يعد من عصبية الجاهلية. وهذا الفهم خاطئ جدًّا، ويخالف فهم جميع الأئمة وعظماء المسلمين من عرب وعجم؛ لأن كل مخلص من أئمة الإسلام عربيًّا كان أو من أصل أعجمي لم يشك لحظة في أن انتعاش العروبة وتماسكها وصلاحها وقوتها هو مناط انتعاش الإسلام وصلاحه وقوته.

ثم ما هي «العصبية»؟

هذا معنى يجب أن نفهمه على وجهه.

يقول إمامنا الأعظم محمد بن إدريس الشافعي المطلبي رَحِمَهُ اللَّهُ (كما في

---

(١) مجلة الهدي النبوي العدد السادس – جمادى الثانية – سنة ١٣٦٢هـ.

مختصر المزني ٥: ٣٥٧ بهامش الأم): «ليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، والعصبية المحضة أن يبغض الرجل لأنه من بني فلان».

فالعصبية التي نصح الإسلام للعرب باجتنابها هي العصبية التي كانت للأوس على الخزرج وللخزرج على الأوس فلما زالت بنعمة الإسلام كان زوالها من أسباب وحدة العرب التي ننشدها اليوم كما كان ينشدها بالأمس الصحابة والتابعون. ثم هي التي كانت لمضر على ربيعة ولربيعة على مضر، فلما زالت بنعمة الإسلام كان زوالها من أسباب الوحدة التي ننشدها اليوم كما كان أجدادنا ينشدونها. وهي أيضًا التي قامت بين القحطانيون والعدنانيين، فلما سمع رسولنا ﷺ رجلًا يقول:

إني امرؤ حميري حين تنسبني لا من ربيعة آبائي ولا مضر

استشعر منه البراءة من القوم الذين هو منهم صلوات الله عليه فقال له: «**ذلك ألأم لك وأبعد عن الله ورسوله**» وكذلك الشعوبية التي تبتغي الاستعلاء على الأمة التي منها رسول الله ﷺ وتنكر على العرب حقها في التماسك والانتعاش والقوة فإن الإسلام يقول لها بلسان رسول الله ﷺ: «**ذلك ألأم لك وأبعد عن الله ورسوله**».

ومن أمثلة العصبية ما أشار إليه ناشر كتاب (الانتقاء) للحافظ ابن عبد البر من دفاع أحد الشراكسة المعاصرين عن الحافظ مغلطاي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ص ١٣٧ من ذيول تذكرة الحفاظ بما يناقض موقفه من الإمام ابن الجزري في ص ٣٧٧ من ذلك الكتاب، فقال ذلك الناشر عن ذلك الشركسي «فلعله كان مبطلًا في النفاح عن مغلطاي والوقيعة في الإمام الجزري فتناقض» ثم قال: «ولو أن ابن تيمية أو السيوطي أو غيرهما كان في محل مغلطاي فيما قيل عنه لاستجمع ضروب القول ليثبت انتقاصه».

وعصبية الجاهلية هي التي ترمي إلى شق عصا الملة باسم الوطنيات المحلية، أو التفريق بين القبائل أو الشعوب؛ مع أن مقاصد الإسلام أن يجمع بنعمته كلمة العرب كلها، ثم أن يجمع بالأخوة كلمة المسلمين كلهم، ثم إن يجمع الإنسانية كلها على الحق والهدى. فإذا قام مسلم أندونيسي أو هندي فعمل على جمع كلمة بني قومه ليكونوا عضوًا صالحًا في جسم الإسلام هل يعد عمله عصبية يذم عليها، إن العصبية التي ذمها الإسلام لا علاقة لها بعمل ذلك المصلح الإندونيسي أو المصلح الهندي، بل مثله عندي كمثل قائد كتيبة وحد أجزاءها وبث فيها روح القوة والفضائل والمفاخر وقال لها أريد أن تكوني في المعركة خير كتائب هذا الجيش وأعظمها شجاعة وتضحية ونصرًا.

وهذه الحقائق قررناها في سنوات قديمة من الفتح واقتنع بها قراؤنا المسلمون من كل الأجناس، فهل يعقل بعد ذلك أن تخذل دعوة العرب أنفسهم - وهم مادة الإسلام - إذ نشدوا لقوميتهم التماسك والتعاون والرفعة والسعادة والسيادة؟

إن جميع أجناس المسلمين تعرف للعرب مكانتها السامية بينهم، وكان الأقدمون منهم يعلمون من الإسلام بالبداهة والفهم الفطري أن العروبة جنسية الإسلام وأن العربية لغة الإسلام، ولذلك كان كلما دخل بلد أعجمي في دين الإسلام سارع إلى اتخاذ لغته العربية لغة للأسواق والبيوت والأسر، حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم»: «أن اعتياد الخطاب بغير العربية -التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن- حتى يصير ذلك (أي: التكلم بالأعجمية) عادة للمصر وأهله، ولأهل الدار، وللرجل مع صاحبه، ولأهل السوق، أو للأمراء أو لأهل الديوان، أو لأهل الفقه، فلا ريب أن هذا مكروه[1] فإنه من التشبه بالأعاجم. ولهذا فإن

---

(١) أي: في شريعة الإسلام.

المسلمين المتقدمين لما سكنوا أرض الشام ومصر - ولغة أهلهما رومية[١] - وأرض العراق وخراسان ولغة أهلهما فارسية، والمغرب ولغة أهله بربرية، عودوا أهل هذه البلاد العربية، حتى غلبت على أهل هذه وهكذا كانت خراسان قديماً.

ثم إنهم تساهلوا في أمر اللغة، واعتادوا الخطاب بالفارسية، حتى غلبت عليهم، وصارت العربية مهجورة عند كثير منهم، ولا ريب أن هذا مكروه، إنما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية، حتى يتلقنها الصغار في الدور والمكاتب فيظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلف ».

هكذا كان يفهم أئمة المسلمين مكانة العروبة والعربية من ملة الإسلام وإني أكتب هذه الفقرات، وهذا الجزء من الفتح على وشك المثول للطبع، على أثر قراءتي مقالة لصديقي القديم الأستاذ محمد صادق عرنوس أنحى فيها على دعاة الفرعونية والأشورية بما يستحقه العاملون على إحياء الوثنيات، ثم نبا السيف وكبا الجواد فقال ذلك الصديق العزيز: «نعم، إن إثارة مثل هذه العصبيات مناط لوم شديد لمن دعا إليها، ولكن هناك دعوة يظن أهلها أنها سليمة لا جناح على من قام بها ولا ملامة، تلك هي الدعوة إلى العصبية العربية أو كما يسميها دعاتها الجامعة العربية. نحن لا ننكر أنها أرحب ذرعًا وأوسع دائرة من باقي العصبيات، ولكنها عصبية على كل حال لها خصائص العصبيات القومية وما ينشأ عنها من فصم عروة المسلمين ... إلخ».

الله أكبر، وهل المسلمون من غير العرب صاروا لا يرضون عن أمة رسولهم إلا أن تبقى كما هي اليوم أشتاتًا متخاذلين وضعفاء متواكلين، وهل إذا تمنى

---

(١) أي: اللغة الرسمية التي كانت لغة الحكومة في القطرين يومئذٍ.

العرب أن يكونوا أمة تعاون وصلاح وتماسك وقوة يكون ذلك مما يسوء إخوانهم المسلمين حتى يفصم ذلك عرى الإسلام، وأي إسلام هذا الذي ينكر على العرب أن يعودوا إلى ما كانوا عليه في زمن نبيهم وخلفائهم الراشدين وأئمتهم المتبوعين من عزة وتعاون وصلاح؟ وأي عرى تكون للمسلمين إذا بقي العرب منحلين؟ إن الإسلام الحقيقي هو الذي يأمر العرب بجمع شملهم وتوحيد كلمتهم. ليجتمع بذلك شمل المسلمين وتتحد كلمتهم، وهل انفصمت عرى المسلمين إلا بانفصام عرى أقدم المسلمين إسلامًا وهم العرب!

أما دعوى تفضيل المسلم غير المسلم على أخيه المسلم إذا اختلفت قوميتهما فهذا من صفات غير المسلمين، ووهم كهذا الوهم مما لا يجوز إقحامه في هذا الموضوع. بل إن هذا التفضيل رأيناه عند دعاة العصبية المحلية، والذين يرتكبون هذا الإثم سيثابرون على ارتكابه ولو لم تنل العروبة حقها في الحياة والسعادة المنشودتين.

وبعد فإني لا أغتفر لصديقي الأستاذ عرنوس هذه النبوة إلا بأن ينقل هذا المقال، وأن يسلم بأنه الحق الذي لا ريب فيه، وبأن من أعظم مظاهر الحكمة الإلهية ظهور الإسلام من أمة العرب، وإن لم ينحطوا ويبتعدوا عن دينهم إلا منذ جعلوا سجايا العرب وقوتهم كمية مهملة في الكيان الإسلامي، ولن يعود الإسلام إلى فطرته وأصله إلا إذا تعاون المسلمون جميعًا على بعث العرب من جديد. فتتقدم لحمل أعبائه الأكتاف التي حملته في المرة الأولى، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

* * *

الخليفة العادل[1]

كان عمر بن عبد العزيز - قبل ولايته الخلافة - يتألم من انصراف بعض قادة الأمة إلى نزعات الهوى، ويقول: الوليد بالشام، والحجاج بالعراق، ومحمد بن يوسف (أخو الحجاج) باليمن، وعثمان بن حيان بالحجاز، وقرة بن شريك بمصر، ويزيد بن أبي مسلم بالمغرب: امتلأت الأرض والله جورًا!

فلما آلت إليه الخلافة كان أول ما بدأ به عهده بعد دفن الخليفة سليمان بن عبد الملك -المبادرة إلى إصلاح القيادة، فدعا بدواة وقرطاس عقب دفن سليمان، فكتب ثلاثة كتب لم يسعه فيما بينه وبين الله ﷻ أن يؤخرها لحظة، وأمضاها من فوره والناس في عجب من كتابته إياها في تلك الساعة: فجعلوا يقولون: ما هذه العجلة؟ أما كان يصبر حتى يرجع إلى منزله؟ هذا حب سلطان، هذا الذي يقول إنه كاره لما دخل فيه.

ولم يكن بعمر عجلة ولا محبة لما صار إليه، ولكنه حاسب نفسه ورأى أن تأخير ذلك ساعةٌ مضرٌّ بالرعية، وربما أهدر ظلم الولاة دماءً بريئة أو ربما أضاعوا في تلك الساعة على الناس شيئًا كثيرًا من الحقوق.

أما كتابه الأول فكان لمسلمة بن عبد الملك يأمره بالعودة وفك الحصار عن القسطنطينية، وقد كان أخوه سليمان بن عبد الملك أمره بغزوها برًّا وبحرًا وأوشك على فتحها، ثم خدع حتى أحرز المحاصرون طعامهم وحوائجهم ثم أغلقوها دونه، فبلغ ذلك الخليفة سليمان فغضب عليه وحلف أن لا يعيده منها ما دام حيًّا، فاشتد على جيش المسلمين المقام هناك من الجهد والجوع، فلما ولي عمر رأى أن لا يؤخرهم ساعة.

---

(١) مجلة الهدي النبوي العدد التاسع - رمضان - سنة ١٣٦٢هـ.

وأما الكتاب الثاني فكان بعزل أسامة بن زيد عن ولاية مصر، وأمر به أن يحبس ويقيد ويحل عنه القيد عند كل صلاة، ثم يُرد في القيد. وكان أسامة ظالمًا غشومًا مسرفًا في العقوبات، فحبس بمصر سنة ثم نقل إلى فلسطين فحبس بها سنة. ثم مات عمر وولي يزيد بن عبد الملك فأطلقه ورده إلى ولاية مصر.

وأما الكتاب الثالث فكان بعزل يزيد بن أبي مسلم عن المغرب وكان جبارًا يأمر بالقوم فيكونون بين يديه يعذبون وهو يقول: سبحان الله، والحمد لله، شد يا غلام موضع كذا وكذا (لبعض مواضع العذاب) فكانت حالته موجبة للمبادرة بعزله إراحة لخلق الله من شره.

كتب كتبه الثلاثة، ثم عاد فقربت إليه ركائب الخلافة فقال لغلامه مزاحم: ضم هذه الركائب إلى بيت مال المسلمين. وفعل ذلك بالسرادقات وبالفرش وبالوطاء وبالطيب حين قدموها إليه، ولم يشأ أن يقيم في دار الخلافة وكانت تسمى الخضراء وتقع باتصال حائط القبلة من مسجد بني أمية، فعدل عن دار الخلافة هذه إلى دار صغيرة متصلة بالحائط الشمالي من مسجد بني أمية.

وخطب الناس على منبر مسجد بني أمية في دمشق عقب ولايته فكان مما يقوله في خطبه: أيها الناس ليس بعد نبيكم نبي، وليس بعد الكتاب الذي أنزل عليكم كتاب، فما أحلَّ الله على لسان نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة، وما حرَّم الله على لسان نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة. ألا إني لست بقاضٍ وإنما أنا منفذ، ولست بمبتدع ولكني متبع. لست بخيركم وإنما أنا رجلٌ منكم إلا أني أثقلكم حملًا.

يا أيها الناس إن أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم. أيها الناس الحقوا ببلادكم، فأنا أنساكم عندي وأذكركم في بلادكم، ألا وإني قد استعملت عليكم رجالًا لا أقول هم خياركم، ألا فمن ظلمه إمامه مظلمة فلا إذن له عليّ.

ألا لا سلامة للمرء في خلاف السنة، ولا طاعة لمخلوق في معصية الله. ألا وإنكم تعدون الهارب من ظلم إمامه عاصيًا. ألا وأن أولاهما بالمعصية الإمام الظالم. إنه لحبيب إليّ أن أوفر أموالكم وأعراضكم إلا بحقها ولا قوة إلا بالله.

أيها الناس عليكم بتقوى الله فإن تقوى الله خلف من كل شيء، وقد كان قبلي ولاة تشترون مودتهم بأن تدفعوا بذلك ظلمهم عنكم. أيها الناس إني لست بخازن ولكني أضع الشيء حيث أمرت؛ ألا ولا طاعة لمخلوق في معصية الله. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

وكان من عادة الخليفة الجديد أن يأمر عند ولايته بصرف عطاء عظيم للجند وأمراء البيت المالك، فكان ما أمر به عمر للأمراء يسيرًا جدًّا يساوي ما يعطى عادة لغلمانهم، فلما رأى وزراء الخليفة الماضي سليمان ما جنح إليه الخليفة الجديد من التقشف والزهد عقدوا اجتماعًا تذاكروا فيه هذا الأمر وقالوا: أما الركائب والسرادقات والحجر والشوار والوطاء فليس فيه رجاء بعد، وبقيت الجواري نعرضهن عليه فعسى أن يكون ما تريدون فيهن، فإن كان وإلا فلا طمع لكم عنده. فأُتي بالجواري فعُرضن عليه كأمثال الدمى، فلما نظر إليهن جعل يسألهن واحدة واحدة من أنتِ ومن أين أتيتِ؟ فتخبره بقصتها؛ فيأمر بردها إلى أهلها فحملن إلى بلادهن ولم يؤخر منهن واحدة. فلما رأى الوزراء ذلك يئسوا منه وعلموا أنه سيحمل الناس على الحق. ثم احتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يدخل عليه أحد ووجوه بني أمية وأشراف العرب وأمراء الأجناد ببابه ينتظرونه، فلما خرج إليهم قام الناس بين يديه كعادتهم في إجلال الخلفاء قبله. فقال لهم: يا معشر الناس ! إن تقوموا نقم، وإن تقعدوا نقعد، فإنما يقوم الناس لرب العالمين، إن الله فرض فرائض وسنَّ سننًا، فمن أخذ بها لحق ومن تركها محق. فمن أراد أن يصحبنا فليصحبنا بخمس: ليوصل إلينا حاجة من لا

تصل إلينا حاجته، ويدلنا من العدل إلى ما لا نهتدي إليه، ويكون عونًا لنا على الحق ويؤدي الأمانة إلينا وإلى الناس ولا يغتب عندنا أحدًا، ولمن لم يفعل فهو في حرج من صحبتنا والدخول علينا. ثم أمر الحرس إذ خرج إليهم أن لا يقوموا له وقال لهم لا تبتدئوني بالسلام إنما السلام علينا لكم. ثم بدأ يتفرغ لتدبير شؤون الدولة لا يؤخر شؤون اليوم للغد حتى أرهق نفسه وأضر بصحته. فقال له بعض إخوته: يا أمير المؤمنين! هلا ركبت فتروحت. قال: فمن يُجزي عني عمل ذلك اليوم؟ قال: تجزيه من الغد. قال: فدحني عمل يوم واحد فكيف إذا اجتمع عليَّ عمل يومين. قيل له: فإن سليمان قد كان يركب وينتعش ويجزي عمله. قال عمر: ولا يوم واحد من الدنيا ما أجزاه سليمان!

ثم بدأ هذا الخليفة العظيم برد المظالم إلى أهلها، فأول ما بدأ به: الخروج من ماله فردّه في مال المسلمين، وخرق سجلات مزارعه حتى انتهى إلى مزرعة خيبر، فسأل عنها من أين كانت لأبيه؟ قيل له: إنها كانت في نخل رسول الله ﷺ فتركها رسول الله ﷺ فيئًا للمسلمين، ثم صارت إلى مروان فأعطاها مروان أباك، فخرق عمر سجلها، وقال: أتركها حيث تركها رسول الله ﷺ. ولم يُبق إلا مزرعة السويداء، لأنها كما قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ما من شيء إلا رددته في مال المسلمين إلا العين التي بالسويداء كانت أرضًا براحًا ليس فيها لأحد ضربة سوط، أصلحتها من صلب عطائي الذي يُجمع لي مع جماعة المسلمين. وكانت تلك المزرعة تنتج من المحصول ما يقدر ثمنه بمائة دينار في السنة يخرج زكاتها ويتصدق ببعض الباقي ثم يعطي ما بقي للذي يقوم على نفقة أهله ويقول له: خذ هذا الذهب فأنفقه على عيالنا إلى أن يخرج لي عطائي مع المسلمين أو يقضي الله قبل ذلك.

وبعد أن بدأ بنفسه فنزل عن أملاكه للمسلمين تحولّ إلى المظالم يردها

ولبني أمية يستخلص منهم كل ما ملكوه بغير حق ويقتر عليهم في العطاء، حتى كان الوليد بن عبد الملك قد أقطع ابنًا له يقال له: (روح) حوانيت بحمص، فلما ولي عمر بن عبد العزيز جاءه نفر من أهل حمص يطالبون رَوْحًا بالحوانيت وأقاموا البينة. فقال لروح: خلّ لهم حوانيتهم. فقال: ولكن هي معي بسجل الوليد. قال عمر: وما يغني عنك سجل الوليد والحوانيت حوانيتهم قد قامت لهم البينة عليها، خلَ لهم حوانيتهم فلما خرج روح توعد أحدهم فرجع الحمصي إلى عمر، فقال: هو يتوعدني يا أمير المؤمنين. قال عمر: لكعب بن حامد رئيس حرسه: أخرج إليه فإن سلم الحوانيت فذلك، وإن لم يفعل فأتني برأسه. فبادر بعض من سمع ذلك ممن يعنيه أمر روح بن الوليد فحذره من الذي أمر به عمر.

وكان سليمان بن عبد الملك قد أمر قبل وفاته بعشرين ألف دينار لعنبسة بن سعيد بن العاص فدارت الورقة في الدواوين حتى انتهت إلى ديوان الختم فلم يبق إلا قبضها فتوفي سليمان قبل أن يقبضها عنبسة وكان عنبسة صديقًا لعمر بن عبد العزيز قبل الخلافة، فلما جاء يريد التكلم معه فيما أمر به سليمان وجد بني أمية حضورًا بالباب يريدون مقابلته ليكلموه في أمورهم. فلما رأوا عنبسة قالوا: ننتظر ماذا يصنع معه قبل أن نكلمه ثم قالوا لعنبسة: أعلم أمير الؤمنين بوجودنا وأعلمنا ما يصنع في مسألتك. فدخل عنبسة فقال: يا أمير المؤمنين! إن أمير المؤمنين سليمان كان قد أمر لي بعشرين ألف دينار حتى انتهت إلى ديوان الختم ولم يبق إلا قبضها فتوفي على ذلك، وأمير المؤمنين أولى بإتمام الصنيعة وما بيني وبينه أعظم مما كان بيني وبين أمير المؤمنين سليمان. فقال له عمر: كم ذلك؟ قال: عشرون ألف دينار. فقال عمر: عشرون ألف دينار تغني أربعة آلاف بيت من المسلمين، وأدفعها إلى رجل واحد، مالي إلى ذلك من سبيل.

قال عنبسة: فخرجت فأعلمت بني أمية بما كان منه. فقالوا لي: ادخل عليه أعلمه بأننا نعتب عليه أن بعث إلينا بعشرة آلاف دينار فما خص الواحد منا فيها سوى عشرة دنانير.

وقال يزيد بن عبد الملك (ولي العهد) وكان حاضرًا معهم: كأنه يظن أني لا أكون من بعده فدخل عنبسة وأخبره بمقالهم، فقال: أجلْ، لقد قسمتها فيهم، والله لقد ندمت عليها أن لا أكون منعتهم منها فكانت كافية أربعة آلاف بيت من المسلمين.

فخرج عنبسة وأعلمهم بما أخبره، ثم قال لهم: يا بني أمية زوجتم صاحبكم (يقصد أباه عبد العزيز بن مروان) بنت عمر بن الخطاب، فجاءتكم بعمر ملفوفًا في ثيابه، فلا تلوموا إلا أنفسكم.

ولقد بلغ الأمر بعمر بن عبد العزيز في الضن بمال المسلمين أن لا ينفق إلا على المسلمين أو ما ينفع المسلمين، أنه اكتفى من اللباس بثوب واحد. ولقد حدث مرة أنه أبطأ عن الجمعة قليلًا فعوتب في ذلك فقال: إنما انتظرت قميصي وقد غسلته أن يجف.

ودخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في مرضه، فقال لفاطمة زوجة عمر وهي أخت مسلمة: ألا تغسلون قميصه؟ قالت: والله ما له غيره وإن غسلناه بقي لا قميص له.

وأتاه رجل بتفاحات فأبى أن يقبلها، فقيل له: كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية.

فقال عمر: هي لرسول الله ﷺ هدية، وهي لنا رشوة.

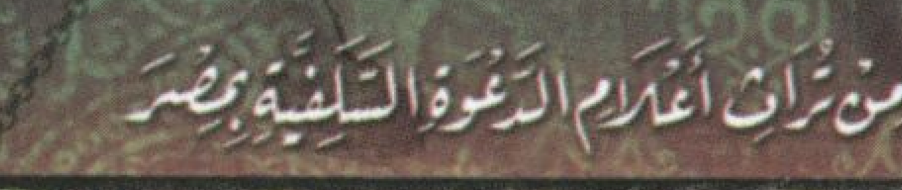
ودخل عليه ابن زكريا فقال: يا أمير المؤمنين إني أريد أن أكلمك بشيء؟ قال: قل. قال: بلغني أنك ترزق العامل من عمالك (أي ولاة الأمصار وأمراء

الأقطار) ثلاثمائة دينار. قال نعم. قال: أردت أن أغنيهم عن الخيانة. قال: فأنت يا أمير المؤمنين أولى بذلك. فأخرج ذراعه. وقال: يا ابن أبي زكريا إن هذا نبت من الفيء (الخراج والغنيمة) ولست معيدًا إليه منه شيئًا.

وقال لزوجته فاطمة بنت عبد الملك: قد علمت حال هذه الجواهر (حليها) وما صنع فيه أبوك ومن أين أصابه، فهل لك أن أجعله في تابوت ثم أطبع عليه وأجعله في أقصى بيت مال المسلمين وأنفق ما أردته. فإن احتجت إليه أنفقته؛ وإن مت قبل ذلك فلعمري ليردنه إليك. قالت له: افعل ما شئت، ففعل. ولكنه مات ولم يصل إليه فردّه عليها أخوها الخليفة يزيد بن عبد الملك فامتنعت عن أخذه فقسمه بين نسائه ونساء بيته. انتهى.

* * *

فهرس الموضوعات





دار سبيل المؤمنين للنشر والتوزيع





عين شمس - القاهرة - جمهورية مصر العربية
جوال / ٠٠٢٠١٠٧٦١٠٠٩٩
www.darsabilelmomnen.com
E-mail : Dar_Sabilelmomnen@yahoo.com
E-mail: Dar_Sabilelmomnen@hotmail.com